394

HARLEQUIN

روايات أحلام

بين جمر و جليد

نيكولا مارش

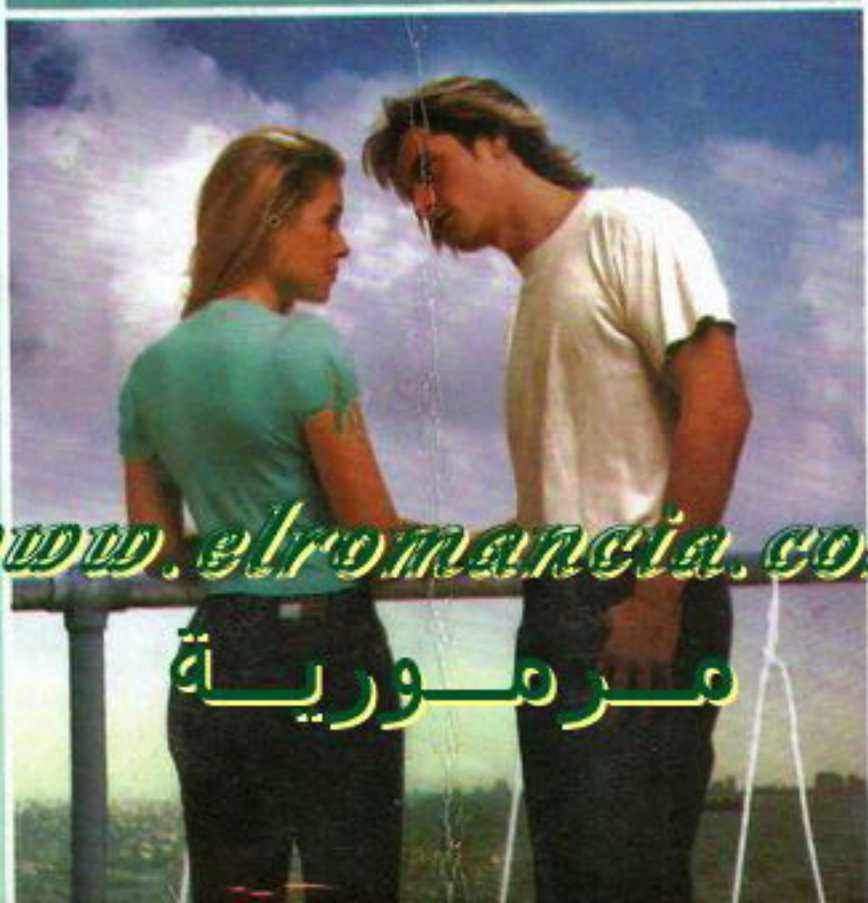

www.elromancia.com
مرمورية

بين جمر و جليد

- لقد اخترتك لسبب معين يا كارا. لأنك نوع المرأة التي أبحث عنها تماما.
- وما هو نوع المرأة تلك؟
حدق إلى عينيها مباشرة: «ذكية. مستقلة الشخصية. دون أوهام شاعرية. إنك الخيار المثالي.»
وجدت كارا روبرتس نفسها عالقة في موعد عاطفي. وإذا بصدمة تتملكها عندما اكتشفت أن رفيقها هو حبيبها السابق مات بيرن.
أصبح ماتيو الآن محاميا ناجحا وجذابا للغاية. وكل ما أراده هو صديقه كي يتقدم بعمله. وفكر أنه من الأفضل أن يستأجر واحدة!... ولم تستطع كارا أن ترفض عرضه.
و لكن هل يجمعهما هو مجرد صفقة عمل ومال أم أن المستقبل يخبئ لهما مفاجأة!

لبنان:	2500ل.ل	البحرين:	1 دينار
سوريا:	75ل.س.	السعودية:	10 ريال
الأردن:	1.5 دينار	مصر:	8 جنيه
الكويت:	750 فلس	المغرب:	15 درهم
الإمارات:	10 دراهم	تونس:	2 دينار
قطر:	10 ريال	عمان:	1 ريال

ISBN 9953-18-362-0

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Books S.A

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Books S.A

العلامة التجارية Harlequin وشعار Joey هما ملك شركة Harlequin Books S.A
وهما مستعملان هنا بترخيص منها

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
The tycoon's dating deal
First published in Great Britain 2004
Harlequin Mills & Boon Limited
© *Nicola Marsh 2004*
Translation © Dar El-Farasha - 2007
ISBN 9953 - 15 - 362 - 0

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - ستر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

نيكولا مارش

حلمت نيكولا مارش كطفلة أن تصبح صحافية تجوب العالم بحثاً عن الخبطة الصحفية الكبرى. تسنّى لها لحسن الحظ أن تزور كافة أنحاء العالم لكن حلم الكتابة لم يفارقها البتة. فقط حين التقت بفارس أحلامها الوسيم وأدركت معنى الحب الحقيقي، صارت تخطّ مشاعرها على الورق. تعيش نيكولا اليوم في إحدى ضواحي ملبورن مع زوجها وطفلهما المنتظر. وعندما لا تكون منهمكة بالكتابة، تعمل كمعالجة فيزيائية. تستمتع مارش كذلك بمشاركة أطباق لذيذة مع العائلة والأصدقاء كما تحب الذهاب إلى السينما وتعشق الجلوس بالقرب من النار وفي يدها كتاب.

١ - خدمة العمر

- ماذا تريدينني أن أفعل ؟

حدّقت كارا روبرتس إلى صديقتها الحميمة غير مصدقة. رغم حبها البالغ لسالي، إلا أنها تراها الآن قد جاوزت الحد.

- أرجوك يا كارا، أرجوك. أنت تعلمين أن وضعي المالي على المحك... هذا عدا عن أعمالي المتدهورة.

وبدا في عيني سالي أثر من خوف وهي تتوسل إليها فأدركت كارا أنها قد هُزمت. لم يسبق لها قط أن رأت سالي بهذا اليأس. لا بد أن الوكالة تجتاز محنة هي أكبر مما تفصح سالي عنه.

تهالكت كارا على كرسي قريب وعقدت ذراعيها على صدرها: «لا بأس. سأفعل ذلك، ولكن هذه المرة فقط، فأنا مدينة لك بالكثير يا سالي».

اندفعت سالي إليها وخصلات شعرها الرمادية تتراقص حول وجهها الممتلىء، ثم عانقتها.

- شكراً، يا حلوتي، أنت شخص نادر.

ثم ابتعدت سالي وعيناها مغرورقتان بالدموع. وامتلأ قلب كارا حباً لهذه المرأة المحيّرة التي كانت احتضنتها دون تردد بعد وفاة والديها. كانت في الثانية عشرة من عمرها عندما قُتل، في حادث سيارة، أهم شخصين لديها. وإذا بسالي، صديقة أمها الحميمة، تتقدم وتعرض عليها أن تعيش معها. وقد أحبتها وساندتها وشجعتها

أثناء سنوات المراهقة الصعبة وما بعدها.

هذه الخدمة لسالي، مهما كانت صعبة أو دقيقة، ما هي إلا مكافأة بسيطة لسنوات من المحبة والصداقة.

- لا بأس، والآن، ماذا عليّ أن أفعل؟

أخذت سالي تقلّب في كومة من الأوراق على مكتبها ثم قالت: «خذي وإملأي هذه الأوراق. أولاً، لكي تصبح قانونية، ثم وقعي أسفل كل ورقة منها».

أخذت كارا رزمة الأوراق وأخذت تقلبها، فلم تصدق ما تقرأه: «لا بد أنك تمزحين، يا سالي! لون عيني الرفيقة المطلوبة؟ عشاة شاعري للغاية؟ أكثر الملامح إغواء؟ من أين تحصلين على كل هذا؟».

شبكت سالي ذراعيها على صدرها: «أنا بحاجة إلى هذه البيانات عنك لكي أضعها في الكمبيوتر. أنت تعلمين ذلك، سخرت من الأمر سنوات، مع أنك رأيت كيف ينجح دوماً. لماذا تترددين الآن؟».

فقالت كارا ضاحكة: «ضحكت منها عندما كانت هذه الأسئلة السخيفة تنطبق على آخرين. والآن، حيث أنني أنا التي تحت المجهر، لم يعد الأمر مسلّياً. ومن ناحية أخرى، ألا يمكنني أن أتخطى هذا الجزء وأعتبر المواعيد الغرامية زالت وانتهت؟».

فهزت سالي رأسها: «لكي أظفر بالجائزة السنوية «لوكالة سيدني للمواعيد الغرامية»، أريدك أن تكملي كل شيء. طلبك سيذهب مع الطلبات الأخرى، يا كارا. ما كنت لأطلب منك أن تفعلي هذا لولا أنني مستميتة لذلك. عندما رحلت ماغي هذا الصباح، تملكتني الحيرة. كل ما عليك أن تفعليه هو أن تذهبي في موعد غرامي سريع

هذه الليلة».

- هه! سهل عليك قول هذا! ماذا لو رآني أحد أعرفه؟ سيظنني مستميتة!

بدا الاستياء في عيني سالي. التوسط في الزواج هو دنياها، فعملها هذا غالٍ عليها، فلماذا يختلف رأي كارا عن رأيها؟ وسألتها سالي: «أتعنين كبقية زبائني؟».

- آسفة يا سالي، فقط أنا لم أتعوّد كل هذا. إنني أفضّل الحصول على مواعيدي الغرامية بالطرق المعتادة.

- وما هي تلك الطرق؟ أنت لم تخرجي لموعد غرامي منذ أكثر من عام!

كم تجرح الحقيقة! لقد ابتعدت عن الرجال طوال الإثني عشر شهراً الأخيرة بعد أن سئمت من خداعهم. وما لبثت أن شعرت بالغثيان من كل شيء.

- هذا كلام فظ قليلاً، فقد ذهبت إلى مواعيد كثيرة في السنوات القليلة الأخيرة.

تجاهلت الشعور بالفراغ الذي كانت تشعر به كلما جاء موضوع الرجال في حديث ما. رجل واحد فقط جعلها تشعر بأنها مرغوبة، لكنه رحل منذ زمن طويل.

- هذا مؤكد يا حلوتي، ولهذا السبب تمضين معظم أوقات فراغك مع عجوز مثلي.

- أنت عجوز؟ طبعاً هناك بعض الشعيرات البيضاء بين شعرك، وعدد من التجاعيد حول عينيك، ولكن، عجوز؟ هل هذا هو السبب في أنك تفضلين أن تجري المقابلات مع المرشحين الرجال شخصياً؟ أنسيتِ، فقد رأيت بنفسي كيف تتألقين بعد جلسة مع بعض

زبائنك الوسيمين.

تلقت سالي هذه الدعابة بأذن صماء وعادت إلى العمل في الأوراق أمامها، وهي تقول: «أشكر لك تشجيعك هذا لكنك نسيت أن تذكري العشرين كيلو غرام الزائدة في وزني حالياً. على كل حال، كُفّي عن هذا الحديث الفارغ وانهي ملء الأوراق هذه يا آنسة، لأنني أريد تقديمها على الفور. ثم أرى أن عليك أن تذهبي إلى البيت لتستعدي، عليّ أن أقابل اليوم آخر الزبائن من الرجال ومن ثم يكون العمل قد انتهى لليلة. وعندما أوفّق بين الحبيبين الألف تصبح الجائزة من نصيبي».

لم تكد كارا تلقي نظرة على الأوراق، حتى هبط قلبها وهي ترى القلق البادي على وجه سالي: «هل حالة الوكالة سيئة إلى هذا الحد، يا سالي؟».

رغم أن موارد كارا المالية أصبحت محدودة منذ استنفد عملها في الديكور الداخلي معظم ما لديها من مال. ستكون مستعدة لأخذ قرض إذا احتاجت سالي.

- إذا لم أظفر بالجائزة، ستضطر وكالتي، «وسيط الزواج»، إلى إغلاق أبوابها. ستمكنني نقود الجائزة من تحديث أجهزة الكمبيوتر، كما أن الجائزة ستمنح الوكالة الاعتبار والمكانة. وهكذا، يمكنك أن تعتبري أن حالة الوكالة سيئة، وأنني في مشكلة.

وتنهدت.

- ولكن كيف؟

سألتها كارا، عالمة أن الجواب لن يعجبها. تملكها الشعور بالذنب. في الواقع، كان لديها فكرة عن جواب سالي.

- تعلمين يا عزيزتي بأنني لم أكن قط امرأة غنية. لقد دفعت كل

شيء لكي أنشئ بيتاً لنا، واستثمرت المبلغ المتبقي لتجهيز المكتب.

ومدّت ذراعيها مشيرة إلى المكتب الذي يُستخدم بصفته مقرّ وكالة (وسيط الزواج) وهي تتابع: «لا أظنني قمت بحساباتي جيداً».

كانت كارا تعلم أن هناك المزيد في هذا الشأن. ذلك أن ما لم تذكره سالي هو مقدار المال الذي أقرضتها إياه سالي لكي تجهز مكتبها الخاص.

وإذ لم تستطع أن تتجاهل شعورها الساحق بالذنب أكثر من ذلك، تناولت القلم من على مكتب سالي ثم ابتدأت في ملء الأوراق.

- إذا كان بإمكاني القيام بأي شيء آخر عدا هذا، يا سالي، أخبريني.

- تابعي الكتابة فقط، يا حبيبتي، وسأهتم أنا بالباقي.

أنهت كارا العمل المطلوب خلال دقائق. بعد عدة ساعات ستكون مع مجموعة من الغرباء بهدف العثور على رفيق مناسب. ولولا لهفة سالي ويأسها، لمزقت كارا هذا الطلب الآن.

كانت متشوّقة إلى الذهاب إلى البيت، حيث تجلس في حوض الحمام الساخن، تصغي إلى غناء مطربها المفضّل الذي يريح أعصابها. لم يكن هذا اليوم أحد أيامها الحسنة. ذلك أن أسرة سميثونز البالغة الثراء، قد طلبت إليها تصميم قاعة الموسيقى مما أزعجها كثيراً. ولسوء الحظ، اضطرت إلى أن تحتمل نحيب الكمان الذي كانت تتدرب عليه حفيدتهم العبقرية مدة ساعتين كاملتين استغرقهما الحديث عن التصميم.

أنقذتها مخابرة سالي لها على التليفون الخليوي ، إنما مؤقتاً. في الواقع، الاختيار بين قضاء أمسية في موعد غرامي سريع، وبين

قضاء عدة ساعات أخرى في سماع نحيب الكمان جعلها تميل لحظة نحو اختيار الكمان.

- إذاً، هل أراك الليلة؟

فتنهدت كارا: «نعم، كما أظن».

وفي مكتب سالي، قالت هذه ضاحكة: «أنت تبدين الآن كما عندما كنت أجرجرك إلى طبيب الأسنان».

- وصفك هذا ليس بعيداً عن الصحة بالنسبة إلى شعوري حالياً، فأنا الآن أفضّل أن أقتلع أحد أضراسي.

ربتت سالي على وجه الفتاة والمحبة في عينيها: «لماذا لا تذهبين إلى البيت وترتاحين؟ ستنتهي الأمسية قبل أن تنتبهي».

همهمت كارا موافقة وقد انشغل بالها بالتفكير في حديث تافه عليها أن تتبادله مع مجموعة من رجال غرباء.

أغلقت الباب المؤدي إلى مكتب سالي الداخلي، ثم نظرت في أنحاء قاعة الاستقبال مزهوة. هذا الديكور ليس سيئاً بالنسبة إلى شخص عديم الخبرة باعتباره أحد إنجازاتها المبكرة. إنها تعشق عملها، خصوصاً ما يتعلق بالتوفيق بين الألوان، والأشكال، والأحجام بشكل عام. ومن المؤسف أن زبائنها لم يكونوا الانطباع ذاته عنها، إذ بعد افتتاحها المكتب بعدة أشهر من النشاط، ابتدأ العمل يتباطأ حتى أخذ يزحف زحفاً. وهكذا لم تكن سالي هي الوحيدة التي بحاجة ماسة إلى المال، بل كارا أيضاً... وبسرعة.

ما إن وصلت إلى الباب الخارجي، حتى انفتح هذا فجأة فكاد يصدمها.

- آسف. هل أنت بخير؟

لا... لست كذلك. فكرت وهي تحدّق إلى وجه آخر رجل

توقّعت أن تراه داخلاً إلى وكالة مواعيد غرامية.

- كارا؟ يا لها من مفاجأة.

واحتوتها ذراعي ماثيو بيرن القويتان. لتندفع، عائدة إليها، كل المشاعر القديمة من شوق ورغبة في هذا الرجل. لكن للأسف، إنها المرأة التي لا يريدها. لم تستطع التحكم في عواطفها مقدار ذرة. ما زال يملك من التأثير عليها بحيث يجعلها تتحوّل إلى بلهاء حمقاء. لكنها لن تدعه يعلم هذا.

- مرحباً، يا ماثيو، تسرني رؤيتك.

وكادت تختنق بالكلمات وهي تنسلّ من بين ذراعيه. كان رأسها يدور ونبضها يتسارع. لعل عناقه الحار أعاق وصول الأوكسجين إلى رئتيها.

- كل شيء فيك قد تغير.

وفيما كان نظره يجول فوق قوامها الرشيق، اقشعرّ جلدها. وطالت نظراته قبل أن تعود إلى وجهها.

شبكت ذراعيها، محاولة أن تبدو عفوية وإن كانت تعلم أنها فشلت في ذلك.

خاب أملها وهي ترى ابتسامته الواسعة.. نفس الابتسامة الشيطانية التي سكنت أحلامها سنوات. لقد رأى ردّة فعلها وربما عشق كل دقيقة منها.

رفعت وجهها وحملقت فيه: «نعم، هذا يحدث للفتيات الصغيرات».

قالت ذلك متسائلة إن كان يتذكر هذه الكلمات المؤلمة التي كان نطق بها في ليلة عيد ميلادها الثامن عشر. الليلة التي حطم فيها قلبها.

بدت في عينيه الزرقاوين ومضة وعي سرعان ما حجبها: «حسناً، أنت لم تعودي فتاة صغيرة. تبدين رائعة. ومن المؤسف أننا لم نبق على اتصال طوال هذه السنوات».

شعرت بأنها تريد أن تغرق في لون عينيه. إنها لم تر لوناً مثله قط، هذا المزيج المؤثر من الفيروزي والبنفسجي، إلى لمسة خفيفة من الزمردي. إنها طريقة سخيفة لوصفهما. ومع ذلك، لا يمكن أن تصف بريقهما سوى بلغة بليغة. أما كلمات بنفسجي، أزرق أخضر، فهي عادية جداً لا تعطي عيني ماثيو بيرن وصفهما الصحيح.

صعد الدم إلى خديها فشعرت بالدفء. بإمكانها أن تتكهن بما كان سيحدث لو (بقيا على اتصال) حسب قول ماثيو.

وكأنه قرأ أفكارها فقال: «تبدين فاتنة عندما تحمر وجنتاك بهذا الشكل. ما زلت كارا القديمة».

صوته المنخفض الأبح أثار أعصابها وأثار فيها ذكريات محمومة بالاشتياق.

ولكن كيف تنسى نبذه الهائل لها الذي دام الحياة بطولها؟ لقد دفعها ماثيو بيرن عنه بعيداً بأقسى طريقة ممكنة وباستخفاف لم تستطع معه أن تتحدث إليه مرة أخرى.

وهاهو ذا الآن، يعود إلى حياتها وكأنه البطل المتفوّق ليمثّل الدور... بعضلات مرنة وصدر فسيح، وملامح وسيمة رائعة وابتسامة مهلكة. كل ما يحتاجه هو ان يستبدل بدلته الأنيقة ببدلة "سوبرمان" حتى تكتمل الصورة.

ضحكت، بعد أن استقرت هذه الصورة في ذهنها، ولم تستطع أن تمنع نفسها من التفكير بها. سألها وقد انطفأت ابتسامته: «ما الذي يضحكك؟».

- آسفة، مجرد ذكريات قديمة. أنت تعرف.

ومسحت الدموع من عينيها، راجية أن لا تكون أفسدت الماسكارا.

- لا أظن أن ذكرياتنا كانت مضحكة بهذا الشكل.

عاد يقترب منها فتراجعت قبل أن تقترف غلطة حمقاء، رغم أنها لم تفهم لماذا.

- أصبحت جزءاً من التاريخ الآن. سمعت بأنك انتقلت إلى أشياء أكبر وأفضل. حياتك، بصفتك محامياً في شركة قانونية، بالإضافة إلى كونك فتى عابثاً، لابد أنها الآن أكثر إثارة من ذكرياتك القديمة.

بهت وضاقت عيناه: «لا تصدقي كل ما تقرأينه. الصحافة تعتمد على الإشاعات لزيادة المبيع».

- حسناً، عليك أن تطالب بحصة، لأن ما يقال عن سلوكك يمكنه وحده ان يبيع مليون نسخة.

بدت ماكرة لكنها لم تستطع منع نفسها من الانزعاج إزاء بعض تصرفاته الغريبة، هذا إذا كانت الصحف صادقة. وكان ماثيو يحتل مكاناً بارزاً في أعمدة الإشاعات في الصحف بشكل أسبوعي ودوماً ثمة امرأة مختلفة متعلقة بذراعه قد زاد «السيليكون» من جمالها. وكانت سمعته، بصفته فتى عابثاً، تغطي كل صحف سيدني. لقد كانت محظوظة في الهرب منه، فلماذا تكوّر الصحيفة بيدها وتقذف بها إلى آخر الغرفة في كل مرة يُذكر فيها اسم ماثيو بيرن وآخر صديقاته؟

- بالحديث عن السمعة، ما الذي تفعله هنا؟ أنت آخر من أتوقع رؤيته في وكالة للمواعيد الغرامية. هل ثمة مشكلة بالنسبة إلى سحرك؟

رغم دعابتها المرحة، لاحظت أن ابتسامته بهتت. لم يكن ماثيو هادئاً كما تظاهر، ولابد أنها أصابت منه وتراً حساساً.

قال بابتسامة مرغمة: «لا مشكلة مع (سحري) يا كارا. وكان عليك أن تدركي ذلك».

لم تستطع إلا أن توافقه وهو يقف أمامها مثيراً فيها ذكريات كانت ظنت نفسها قد نجحت في كبتها حتى الآن، وتابعت تقول: «لماذا أنت هنا؟».

كان جوابه قصيراً حاداً مليئاً بالاستياء: «مجرد عمل».

مسكينة سالي، لابد أن مشكلتها أكبر مما كانت كارا تظن مادام المحامون أصبحوا في أثرها.

قالت له وهي تعود فتتمنى لو بإمكانها أن تساعد سالي أكثر من ذلك: «هل لك أن تراعيها، من فضلك؟».

لم تفهم التعبير التي بدا على ملامحه. كان وجهه مزيجاً من مشاعر مختلفة... هادئاً ومع ذلك قاسياً... متزن الملامح ومع ذلك ملتوي الشفتين... وكانت لحيته غير الحليقة تضفي على فكه ظلاً خفيفاً. رباه، كم تتوق إلى خشونة تلك الذقن.

- كارا؟ هل أنت بخير؟ يبدو التوهج على وجهك.

عادت بأفكارها إلى الواقع، فأدركت أن عليها أن تهرب الآن، فهو مازال يؤثر عليها مغناطيسياً بشكل غريب. دوماً كان يملأ أحلام يقظتها ولا يبدو أن الأمر تغيّر. طوال تسع سنوات لم تستطع أن تتحكم في مشاعرها بالنسبة إليه، وهذا كان يخيفها.

السنوات والمواعيد الغرامية التي لا تحصى عجزت عن محو صورة هذا الرجل من ذهنها. لقد انطبع على قلبها وروحها إلى الأبد، كما يبدو.

وهذا مخيف حتماً. وإذا كان أمامها خياران، الكفاح أو الهرب، فقد اختارت الأخير.

- أنا بخير، يا ماثيو. أنا مسرورة لرؤيتك مرة أخرى. أرجو لك النجاح في مهمتك هنا مهما كانت.

ترددت وهي تتذكر كل تفاصيل وجهه.

العادات القديمة لا تموت بسهولة.

- شكراً، وأنا أيضاً مسرور لرؤيتك. هل نذهب معاً لنشرب شيئاً، في وقت قريب؟

تجاهلت سرعة خفقات قلبها وأجابت: «لا أظن ذلك. شكراً على كل حال، إلى اللقاء».

واندفعت خارجة من الباب قبل أن يجيب.

لا تلتفتي إلى الخلف كيلا يظن أنك ما زلت متعلقة به!

لم تكن قط ماهرة في الإصغاء إلى صوت العقل. وهكذا جازفت بإلقاء نظرة سريعة من فوق كتفها. وحدّق هو إليها من خلال النافذة. ومن المضحك أنه كان يقف، مباشرة، تحت اللافتة المكتوب عليها (وسيط زواج) على زجاج بأحرف حمراء. لا يمكن أن يحدث شيء كهذا. ماثيو بيرن، الفتى العابث غير العادي، يبحث عن نصفه الملائم ليستقر أخيراً؟ ليس ثمة أمل في ذلك.. حسب قول المثل.

* * *

حدق ماثيو إلى ظهر كارا، ثم حاول أن يتجاهل جمالها الأخاذ. لقد كبرت بسرعة كما أن عينيها الخضراوين أصبحتا كبيرتي الحجم.

كان معتاداً على النساء الجميلات، فقد كانت حياته فائضة بهن. النساء الرائعات الذكيات اللاتي كنّ متلهفات لقضاء بعض الوقت معه. محاميات، محاسبات، سمسارت أسهم مالية. كانت القائمة

دون نهاية. وعلى كل حال، لم يحدث ان استحوذت واحدة منهن على اهتمامه وقتاً طويلاً، إلى حين جاءت كارا. إنها مذهلة، بعينيها المائلتين كعينيّ هرة إلى شعرها اللامع المائل للإحمرار الذي ينسدل إلى أسفل ظهرها.

كانت طفلة حسنة المظهر تفتحت حوالي السادسة عشرة. ما زال يتذكر أحاديثهما التي لم تكن تنتهي، وأسرارهما المشتركة، وصداقتهما الحميمة... ثم كبرت كارا. وفي ليلة وضحاها، تقريباً، كبر هو أيضاً، لتحتل كارا أفكاره في يقظته وأحلامه.

رغبته فيها، حينذاك، أثارت خوفه. وكان المفروض أن يكون أكثر حكمة حيث أنه أكبر سناً ما يجعله أشبه بأخ أكبر لها. حتى الآن، بعد سنوات، لم يستطع أن ينسى عناقها البريء المحموم وهي تلقي بنفسها عليه ليلة عيد ميلادها الثامن عشر. وللحظة قصيرة، نسي ماثيو نفسه، وتحققت أحلامه، حتى أدرك من يعانق، فدفعها عنه بعنف وهو يغرقها بسيل بارد من الكلمات التي تطفئ أكثر النيران حرارة.

على كل حال، لم يكن يريد أن يعيد التاريخ نفسه. بيرن واحد في الأسرة يكفي لنتيجة كالتي حدثت. إنه يشعر أحياناً برغبة في قتل أبيه، يشعر بذلك حقاً.

تجنبه لكارا وكأنها الوباء كان الشيء الوحيد المناسب الذي أمكنه القيام به. كانت أكثر حرارة من الحرارة نفسها، وما زالت تلك المشاعر تمتلكه حتى اليوم، تباً لذلك!

لقد ظن أنها بادلته بعض الاهتمام، وإذا بها تهرب.

ولكن، هل ثمة ضرر في تناول القهوة معاً؟

آه، نعم. ربما تذكرت كيف تصرف معها منذ تلك السنوات الطويلة، فلا عجب من أن ترفض تناول معه.

ولكن، أي جهنم جعلتها تأتي إلى وكالة المواعيد الغرامية هذه؟ إن امرأة مثلها لن تصبح عانساً. ما الذي لا يعطيه في سبيل أن يمضي بعض الوقت معها، وحدهما، الآن؟

نبذ أفكاره المشاكسة ورنّ جرس الباب. فأجاب صوت من المكتب الخلفي: «انتظر دقيقة».

نظر ماثيو حوله وقد استيقظت لديه قوة ملاحظته بصفته محامياً، كان الأثاث مزخرفاً باللون الأسود ومعدن الكروم بتناسق تام، مع لمسة من الأحمر تضفي تألقاً عليه. لم يكن يستر جدران هذه الوكالة أي غطاء خاص وإنما ورق مطبوع بطريقة «ستانسيل» لرسام لم يسمع باسمه من قبل. وهذا لا يعني أنه خبير بوكالات المواعيد الغرامية. فهذا أول عمل من هذا النوع يقوم به، راجياً أن يكون الأخير.

- آسفة لأنني تركتك تنتظر.

استدار وقد بدا له هذا الصوت الأنثوي مألوفاً: «سالي، تباً، فهذا النهار يستحيل من غريب إلى أغرب. كارا أولاً، وها أنت ثانياً».

احتضنته المرأة قائلة: «عظيم أن أراك، يا ماثيو. أنت ما زلت وسيماً للغاية».

أخذ يلتقط عن سترته خيوطاً موجودة في مخيلته فقط وقد عادت به الذكريات إلى أول حفلة راقصة يحضرها، وسالي واقفة على درجات باب منزل أبويه بزهو، وهي تلوّح له بيدها مودعة وكأنه ابنها. في الواقع، كان يجد لديها من الحنان أكثر مما كان يجد لدى أبيه.

- وأنت أيضاً تبدين عظيمة، يا سالي.

وابتسم وهو يراها تحمرّ خجلاً.

ضربته على ذراعه مداعبة: «إنك عريت دون عقاب. والآن، ما الذي أحضرك إلى «وكالة وسيط الزواج»؟ لا أراك بحاجة إلى معونة في هذا المجال».

- هل أنت من يدير هذه الوكالة؟

وبدا عليه الارتياح. إذا كانت سالي تدير هذه الوكالة، فكارا إذن، أتت لتزورها هنا وليس لتنظم موعداً غرامياً.

- نعم، وقد افتتحته منذ سنوات قليلة، وذلك منذ خرجت كارا من بيتي وأسّست لنفسها عملاً. دوماً كانت تساورني فكرة محاولة إدخال السلوى إلى النفوس الوحيدة المستوحشة. وهكذا، بعد أن رأيت الكثير من القصص العاطفية، وقرأت الكثير من الروايات الشاعرية، قررت أن أبدأ في تحقيق حلمي.

- هذا عظيم جداً.

وفكر في سؤال سالي عن عمل كارا، لكنه أدرك أن في هذا تعجلاً، فإن أمامه وقتاً كافياً ليفعل هذا. وتابع كلامه: «أريدك أن تساعديني».

- أدخل إذن، واجلس، ثم أخبر سالي عن ذلك.

تبعها إلى مكتب صغير يوازي أناقة المكتب الخارجي إنما جوّه أكثر إشراقاً.

- إذن، أيها الوسيم... تكلّم.

مال إلى الخلف واضعاً ساقاً على ساق في جلسة مريحة.

- أريد أن أغيّر صورتي. أبي يظن أن سمعتي ضارة بالشركة.

- نعم، فأنا أقرأ عن تصرفاتك الغريبة في الصحف بانتظام. إنك «وزير نساء» حقيقي.

فهز رأسه: «لا تصدقي كل ما تقرأينه. إن حياتي لا تبلغ نصف

ما تتحدث عنه الصحف من إثارة. وعلى كل حال، يقول إبي إنني لا يمكن أن أكون شريكاً في شركته ما لم يتحسن سلوكي».

تخلل شعره بيده، وهي عادة حاول أن يتغلب عليها ففشل، ما عدا في غرفة المحكمة: «أنت تعرفين أبي. شركة «بيرن وشركاه» هي حياته. وأنا ليس لدي أمل في أن أدخل شريكاً إلا إذا أظهرت (مزيداً من المسؤولية في حياتي الشخصية) حسب قوله».

تنهدت سالي: «كنت جارة أبيك مدة طويلة. إنه مزهوّ بك جداً. ألست مبالغاً في مثل هذا الضغط على نفسك هنا؟ إنه يحبك سواء أصبحت شريكه أم لا».

الحب؟ أبوه لا يعرف معنى هذه الكلمة: «أريد أن أثبت لكل شخص في الشركة أنني محام جيد لا أستغل صلة الأبوّة. أريد أن أدخل الشركة كشريك حقيقي، وخير البرّ عاجله.

كان ضغطه يرتفع كلما فكر في التلميحات التي لا تنتهي في الشركة، عن سمعته، سيما حين يتحدث عن ترقيته في الشركة، إنه محام من الدرجة الأولى دون عون من أبيه، وهذا لا يعني أن أباه قد عرض عليه أي عون.

- وكيف يمكنني أن أساعدك؟

هنا النقطة الصعبة. لقد خجل ماثيو من أن يعترف بأنه صاحب معظم النساء في محيطه، وخارج محيطه، فلم يعجبه.

- كما سبق وقلت، أريد تغيير الصورة. أريد أن أقابل، وبسرعة، امرأة تنسجم معي في طريقة التفكير. إن في ذهني برنامجاً عملياً تبدو هي فيه صديقة ثابتة لي في مختلف الأحوال. وفي المقابل، يمكنها أن تطلب الأجر الذي تريده.

فأجفلت سالي: «أوه... أنت تجعل هذا يبدو أنانياً ومحسوباً

ببرودة تامة. أنا أقوم بعمل شاعري عاطفي وليس بمواعيد غرامية بعقود قانونية. ومن ناحية أخرى، أليس في عملك هذا خداع لأبيك لكي يمنحك الشراكة؟ أليس هناك طريقة أخرى؟».

فهز رأسه: «لقد قمت بأبحاثي. السرعة في الخروج معاً هي الأفضل لمقابلة المرأة التي تنسجم معي. أنا أعلم أن هذه الخدمة هي سرية، وبهذا لن يعلم بها أبي. وبجانب ذلك، من هو لكي يدينني؟ أنظري إلى حياته الشخصية».

- ما زلت لا أعتبر ذلك صواباً، عليك أن تخبر أباك.

دوماً كانت سالي تقف بجانب أبيه، وإن لم يعلم قط السبب في ذلك. كان أبوه، جيف بيرن، والداً دون قلب أحياناً، لكن سالي كانت تدافع عنه قائلة إن كونه أباً دون أم للصبي هو شيء صعب. المشكلة هي أن أباه لم يكن يعلم أهمية كونه أباً.

- أريد أن أفعل هذا، يا سالي.

ها قد وضع أوراقه على الطاولة. لقد قالها، ولم تضحك منه.

لمعت عينا سالي بمكر: «لا بأس، هذا يكفي، إملأ فقط هذه الأوراق وسأضع بياناتك في الكمبيوتر في لحظة، ونتركه يرتب الأمر بنفسه وعليك أنت فقط أن تعود الليلة إلى «الردهة الزرقاء» الساعة الثامنة حيث أكون أنا موجودة لأشرح كيف يعمل كل شيء. أي سؤال؟».

تساءل عن سبب هذا المظهر الغريب على وجه سالي، وعلى كل حال، لقد جاء إلى هنا ليجرّب حظه.

- نعم، لديّ سؤال. كيف يمكنني الاتصال بكارا؟

ضحكت سالي، قائلة: «لقد اهتممنا بكل هذا، يا ولدي، وسيكون ذلك أسرع مما تظن».

٢ - المهزلة

قبل الثامنة بالضبط، كانت كارا تعبر الردهة الزرقاء، وحرصاً منها على الدقة في المواعيد، تعمّدت أن تجول قليلاً في سيارتها حول المبنى لقتل الوقت كيلا تبدو متلهفة. الحمد لله أنها كانت تقوم بذلك لمساعدة سالي فقط دون أن تكون متورطة عاطفياً، بخلاف بقية الزبائن الذين يأتون إلى هنا للعثور على الحب الحقيقي. فيما يتعلق بها، ستؤدي واجبها، ثم تتوجه إلى البيت تاركة مسألة الحب إلى أولئك الذين هجرهم الحب.

وقفت تتفرس في الغرفة الخافتة الضوء حيث كانت موائد لاثنين متناثرة في أنحائها. وتسارع نبضها توجساً للتفكير في أنها ستمضي الليلة سبع دقائق مع كل من سبعة رجال مختلفين. كانت الموائد من صغر الحجم بحيث تهيء جواً مريحاً لشاغليها. بدلاً من التظاهر بعدم الاكتراث ستضطر إلى إلقاء حديث قصير مهذب قبل أن تفلح في الهرب. تباً لذلك، فقد كانت قلقة. وتمنت أن لا يبدو عليها هذا.

لقد بالغت الليلة في أناقتها، بثوبها القصير الأسود والجوربين الحريريين و«الصندل» ذي الأربطة المزين بالترتر اللماع، المتناسب مع حقية اليد.

هذا مع لمحة بسيطة من زينة الوجه لكي تبرز عينيها وشفتيها، كما لفّت شعرها بشكل «شينيون». كانت كارا تعلم أن بإمكانها أن

تجتاز أي اختبار. ومن المؤسف أن صورتها كانت تغطي أعصاباً مضطربة في داخلها.

حالما جلست رأت سالي فابتسمت وهي تشق طريقها بين الموائد وهي تبتسم وتلوّح بيدها لكل شخص، أشبه بملكة. وكانت سالي مألوفة هنا إذ كانت تستعمل هذا المكان لاجتماعاتها الأسبوعية.

- هاي، يا حلوتي. تبدين مثيرة.

فهزت كارا كتفيها: «ماذا؟ بهذا الثوب القديم؟».

- أنا أعرفك يا عزيزتي. ملابس مثيرة وزينة وجه أيضاً؟ لابد أن أعصابك تعمل بشكل متواصل.

ضحكتا معاً بانسجام تام. كانت سالي تعلم أن كارا تفضّل التبخيس من روعة أناقتها دوماً. وبهذا يكون توتر أعصابها واضحاً تماماً.

- لابأس، لن يكون لديك وقت تقلقين فيه عندما يبدأ العمل. والآن، هل تتذكرين القوانين؟

- سالي، لا تضخمي الأمور. أنا أعرف القوانين منذ سنوات. من غيري يصغي إلى أحاديثك عن العمل، هيه؟

قرصت سالي أنف الفتاة ضاحكة: «لا تنسي أنك أنت من شجعني على هذه المغامرة».

فدعكت كارا أنفها متصنعة الألم: «كان هذا قبل أن أعلم أنك ستحوّلين مهارتك في التزويج نحوي. من يدري أية خاسرة سأنتهي بإضاعة وقتي سدى هذه الليلة؟»

اتسعت ابتسامة سالي: «آه، لو كنت مكانك لما اهتممت. إن جهاز الكومبيوتر لديه موهبة سارة في تسليم المرأة ما ترغب فيه. إن لديه سجلاً رائعاً في هذا. ثماني زيجات في سنتين. من يدري؟ ربما

تقابلين رجل أحلامك. عند ذلك تشكرين سالي العجوز بدلاً من أن توبخيها».

- دعي عنك هذا فأنا لست بحاجة إلى رجل. إن لدي عملاً عليّ أن أديره. حالياً، ليس لدي وقت لأحد. أما أنك وجدت رجل أحلامي، من الأفضل أن أربح جائزة يانصيب.

طرفت سالي بعينيها: «حسناً، لا تقولي إنني لم أنبهك. بغض النظر عما حدث الليلة، شكراً لمساعدتك لي يا عزيزتي».

تملك كارا شعور بالذنب. أقل ما عليها أن تفعل، هو أن تظهر الحماسة. وعلى كل حال، الوكالة هي فكرة سالي ومصدر زهوها وبهجتها. إذا كان لشخص ما أن يتفهم ذلك، فهي ذلك الشخص. إذا كان عملها هي سيتعثر، فهي مستعدة للقيام بأي شيء لكي تنقذه.

احتضنت سالي، قائلة: «كل شيء سيكون بخير، يا سالي. سيبلغ عدد زبائنك الألف الليلة، وبذلك ستستمر وكالتك عشر سنوات أخرى؛ سجلي كلامي هذا. إنني مسرورة لقدرتي على أن أساعدك، ولماذا خُلقت البنات، إذن؟»

لامست سالي خدّها باسمة ثم ابتعدت ووركاها السمينان يهتزان تحت تنورة من «الكريب» الذهبي.

كارا ما زالت تفتقد والديها رغم أن الحزن قد خف مع الزمن. ولقد ساهمت سالي بذلك بإغراقها بالحب والرعاية وإشعارها بالأمان. ومع ذلك، لم تكن لتنسى قط تلك الليالي الفارغة التعيسة التي كانت لا تنام فيها إلا بعد بكاء مرير.

كذلك ساعدها ماثيو، هو أيضاً. كان يصغي إلى أحزانها، فيداعبها، ويساعدها في دروسها في المنزل. ثم حطمها الحزن عندما غادر البيت إلى الجامعة فلم تعد تراه إلا في العطلات.

وعلى كل حال، عندما عاد في العطلة إلى البيت في سنته الأولى، كان شيء ما قد تغيّر. أصبحت علاقتهما الواضحة مشحونة بتوتر محسوس. أدركت أن الذنب في ذلك ذنبها لأن مشاعرها نحوه تحوّلت إلى ولع شديد الآن. حاولت أن تخفي ذلك لكنه شعر به، كما يبدو، لأنه أخذ يعاملها ذاك الصيف والذي بعده، كطفلة. لا مزيد من الدغدغة العابثة أو العناق المازح. اعتراضه على مودتها هذه جعله يبتعد جزئياً عنها، بينما، في نفس الوقت، جعلها كالمجنونة. لكنها ما لبثت أن حذت حذوه حتى عيد ميلادها الثامن عشر. ذكرى نبذه لها ما زالت تصيبها بالغثيان. لكنها اليوم، حين ظهر فجأة، كاد يغمى عليها.

- عفواً، هل هذا الكرسي محجوز؟

- أنا، في الواقع، أنتظر...

وتوقفت لحظة عن الكلام وهي تحدق إليه.

- لابد أن هذا يوم سعدي إذ أراك مرتين في ساعات قليلة... ما الذي سيحدث نتيجة ذلك يا ترى؟

نظرت إلى وجه ماثيو الأخاذ تلتهم ملامحه. خطوط الضحك في زاويتي عينيه، التجعيدات حول فمه، الظل الداكن للحيته غير الحليقة على فكه. رباه، ما أروعه! وتسارعت خفقات قلبهاواحمرت وجنتاها.

تشابكت يداها تحت المنضدة، وحاولت أن يتزامن عقلها وفمها في العمل: «لا أدري، يا ماثيو. أخبرني أنت... فأنت الرجل المغامر... هذا إذا كان ما يقولونه عن رحلاتك للتسلية في ميدان سباق «راندويك» صحيحاً».

ابتسم دون اهتمام بتهكمها: «احتمال الفوز هو واحد إلى مليون

ولكن، دوماً كنا منجذبين إلى بعضنا البعض. بالمناسبة، يسرني أن أعلم أنك كنت تتابعينني على صفحات الصحف. هل تفتقدينني؟»

لم تجد فرصة للجواب، فقد تحيّرت وهي تراه يجلس، ثانياً ساقيه الطويلتين تحت المائدة ما جعل ركبتيهما تحتكان معاً فاهتز لذلك كيانها.

- لماذا لا نتناول فنجاني قهوة بما أنني دعوتك عصر هذا اليوم؟

وانحنى نحوها فأحدث ذلك حميمية جذبتها كالمغنطيس.

- أتذكر أنني كنت قلت (لا) لعرضك هذا.

اخترقت نظراته النفاذة أعماقها: «أنا أعلم أنك لم تعني ذلك. وعلى كل حال، دعينا نسمي هذا قدراً. لقد قُدّر علينا أن نتقابل ثانيةً. والآن، ونحن هنا معاً، ما هو الضرر في أن يتناول صديقان قديمان فنجان قهوة معاً؟»

وكانت كارا قد ضاعت في بحيرتي عينيه الزرقاوين فعجزت عن المقاومة. دوماً كانت كذلك بقربه... ضائعة متخبطة مليئة بالحنين.

- هممم... في الواقع، أنا بانتظار بعض الناس هنا، قريباً. لماذا لا نتناول القهوة فيما بعد؟

لقد اضطرت إلى أن تخدعه قبل أن يكتشف سبب وجودها هنا، والموافقة على دعوته ليس إلا ثمناً بسيطاً لذلك.

فقال بابتسامة عريضة: «في الواقع، أنا واحد من أولئك الناس الذين تنتظرينهم».

كشفت ابتسامته الواثقة عن أسنان منضدة لامعة بشكل غير طبيعي في ضوء الفلورسنت.

أسكتها جوابه والحقيقة تنبلج لها. ماثيو يأتي إلى الوكالة عصر هذا اليوم. سالي تقول إنها بحاجة إلى طلب واحد من رجل،

وعلى كل حال، عندما عاد في العطلة إلى البيت في سنته الأولى، كان شيء ما قد تغيّر. أصبحت علاقتهما الواضحة مشحونة بتوتر محسوس. أدركت أن الذنب في ذلك ذنبها لأن مشاعرها نحوه تحوّلت إلى ولع شديد الآن. حاولت أن تخفي ذلك لكنه شعر به، كما يبدو، لأنه أخذ يعاملها ذاك الصيف والذي بعده، كطفلة. لا مزيد من الدغدغة العابثة أو المناق المازح. اعتراضه على مودتها هذه جعله يبتعد جزئياً عنها، بينما، في نفس الوقت، جعلها كالمجنونة. لكنها ما لبثت أن حذت حذوه حتى عيد ميلادها الثامن عشر. ذكرى نبذه لها ما زالت تصيبها بالغثيان. لكنها اليوم، حين ظهر فجأة، كاد يغمى عليها.

- عفواً، هل هذا الكرسي محجوز؟

- أنا، في الواقع، أنتظر...

وتوقفت لحظة عن الكلام وهي تحدق إليه.

- لابد أن هذا يوم سعدي إذ أراك مرتين في ساعات قليلة... ما الذي سيحدث نتيجة ذلك يا ترى؟

نظرت إلى وجه ماثيو الأخاذ تلتهم ملامحه. خطوط الضحك في زاويتي عينيه، التجعيدات حول فمه، الظل الداكن للحيته غير الحليقة على فكه. رباه، ما أروعه! وتسارعت خفقات قلبهاواحمرت وجنتاها.

تشابكت يداها تحت المنضدة، وحاولت أن يتزامن عقلها وفمها في العمل: «لا أدري، يا ماثيو. أخبرني أنت... فأنت الرجل المغامر... هذا إذا كان ما يقولونه عن رحلاتك للتسلية في ميدان سباق «راندويك» صحيحاً».

ابتسم دون اهتمام بتهكمها: «احتمال الفوز هو واحد إلى مليون

ولكن، دوماً كنا منجذبين إلى بعضنا البعض. بالمناسبة، يسرني أن أعلم أنك كنت تتابعينني على صفحات الصحف. هل تفتقدينني؟»

لم تجد فرصة للجواب، فقد تحيّرت وهي تراه يجلس، ثانياً ساقيه الطويلتين تحت المائدة ما جعل ركبتيهما تحتكان معاً فاهتز لذلك كيانها.

- لماذا لا نتناول فنجاني قهوة بما أنني دعوتك عصر هذا اليوم؟

وانحنى نحوها فأحدث ذلك حميمية جذبتها كالمغنطيس.

- أتذكر أنني كنت قلت (لا) لعرضك هذا.

اخترقت نظراته النفاذة أعماقها: «أنا أعلم أنك لم تعني ذلك. وعلى كل حال، دعينا نسمي هذا قدراً. لقد قُدّر علينا أن نتقابل ثانيةً. والآن، ونحن هنا معاً، ما هو الضرر في أن يتناول صديقان قديمان فنجان قهوة معاً؟»

وكانت كارا قد ضاعت في بحيرتي عينيه الزرقاوين فعجزت عن المقاومة. دوماً كانت كذلك بقربه... ضائعة متخبطة مليئة بالحنين.

- هممم... في الواقع، أنا بانتظار بعض الناس هنا، قريباً. لماذا لا نتناول القهوة فيما بعد؟

لقد اضطرت إلى أن تخدعه قبل أن يكتشف سبب وجودها هنا، والموافقة على دعوته ليس إلا ثمناً بسيطاً لذلك.

فقال بابتسامة عريضة: «في الواقع، أنا واحد من أولئك الناس الذين تنتظرينهم».

كشفت ابتسامته الواثقة عن أسنان منضدة لامعة بشكل غير طبيعي في ضوء الفلورسنت.

أسكتها جوابه والحقيقة تنبلج لها. ماثيو يأتي إلى الوكالة عصر هذا اليوم. سالي تقول إنها بحاجة إلى طلب واحد من رجل،

الآن... لقاؤهما مصادفة عند المدخل الليلة... من المؤكد أنه زبون سالي.

- هل تمزح؟ ماثيو بيرن العظيم لا يستطيع أن يحصل على موعد غرامي؟ أخبرني بالسبب الحقيقي لوجودك هنا. هل أخبرتك سالي بعملها هذا؟

حاولت أن تبعد التهكم عن لهجتها ففشلت.

استند إلى ظهر مقعده وشبك يديه على صدره وقد بدا تماماً ذلك المحامي الهادئ عند استجوابه الشاهد: «لا تكوني سخيفة. لقد وجدت وكالة سالي مصادفة. أما بالنسبة إلى وجودي هنا الليلة، فقد وقعت الطلب عصر هذا اليوم. إنني لا أدين لك بأي تفسير، يا كارا، لأن حياتي ليست كتاباً مفتوحاً، وهكذا لا تقفزي إلى النتائج».

فقالت بإلحاح: «ولكن وكالة للمواعيد الغرامية؟ ولماذا يحتاج رجل مثلك إلى مساعدة للحصول على موعد غرامي؟».

انطلقت هذه الكلمات من فمها دون تفكير. تباً لذلك! عليها الآن أن تبرّر ما كانت تعنيه.

- رجل مثلي؟

قال هذا بصوت منخفض فتملكتها الإثارة: «أعني رجلاً غنياً ناجحاً».

وحوّلت نظراتها غير قادرة على مواجهة نظراته.

فقال مداعباً: «أنت نسيت جمال المظهر».

فأجابت وقد احمر وجهها: «نعم. هذا أيضاً، ولهذا... ما هي قصتك؟»

قالت هذا بفتور، آملة أن تخدعه، لكن هذا لم يظهر في

ملامحه: «ليس بهذه السرعة، ما رأيك في أن نستمتع بهذه الدقائق السبع معاً، وإذا شئت معرفة المزيد يمكنك أن تختاري الخروج معي».

فضحكت: «أنت رجل عمليّ، وابتزازي لن ينفعك».

- ماذا لو أغرقتك بالاطراءات الجميلة. هل ينفعني هذا؟

شعرت فجأة بالرغبة في ان تتنافس بالظرف والذكاء مع هذا الرجل الجذاب، فرفرفت بأهدابها: «عليك أن تحاول وتجد الجواب بنفسك».

بدت على فمه ابتسامة مغرية أذابت مقاومتها: «هذه صفقة بيننا».

مالت إلى الخلف ووضعت ساقاً على ساق، مبدية لماثيو لمحة من جورييها الشفافين، فشعر بشوق كبير إليها. منذ دخل إلى القاعة، لم يستطع أن يرفع عينيه عنها.

- إذاً، هل تعلم برنامج السهرة؟

حتى صوتها المغري بدا مثقلاً بالوعود ما سيجعل من الصعب عليه التركيز على ما ستقوله في السبع دقائق التالية إذا استمرت أفكاره تعمل بهذا الشكل. وهكذا عاد بأفكاره إلى الحاضر بصعوبة، قائلاً: «نعم، فقد أوضحت لي سالي الطريقة المعتادة لذلك. عليّ أن أمضي سبع دقائق مع سبع نساء جميلات، وفي النهاية أختار من أعجبتني. فلا مواعيد غرامية مرهقة، ولا إضاعة الوقت بأحاديث قصيرة، ولا ثرثرة تافهة أثناء عشاءات لا تنتهي... وهذا ما أريده بالضبط».

حملقت كارا فيه: «هناك شيء لم تخبرني عنه. كل الشائعات عنك تقول إنك تعشق المواعيد الغرامية. وكلما ازدادت مرحاً كان ذلك أحب إليك، فلماذا تضطر إلى هذا؟ كنت أظنك من النوع الذي

يحب المطاردة».

- هذا مؤكد، فأنا أعشق المطاردة كغيري. لكن أولوياتي تتغير.

كان يرجو أن يرضيها هذا الجواب، فهو غير مستعد لقول الحقيقة. هذا لأنه لا يكاد يستطيع مواجهة ذلك، هو نفسه.

رفعت يديها باستسلام واضح. نظر إلى أصابعها الرشيقة باعجاب. جلوسه هنا هادئاً أخذ يزداد صعوبة كل دقيقة.

- كما تقول يا ماثيو، رغم أنني ما زلت أظنك تهدف إلى شيء ما.

وضحكت بصوت حلو رنان أنعش لديه ذكريات عصر يوم صيفي أخذا فيه يتبادلان الآمال والأحلام، بينما تابعت كلامها: «أنا متشوّقة إلى معرفة أسرارك، سواء شئت أم أبيت».

فأمسك بيدها يضغط بإبهامه على راحتها: «وأنا مستعد تماماً لقبول تزلفك إليّ لأجل ذلك. هل تحبين أن تجربي؟»

ابتلعت ريقها تبلل بذلك حلقها الذي جفّ فجأة. ضغطه بإبهامه على راحتها أثار مشاعرها للغاية بحركاته الدائرية، مرسلاً في كيانها أمواجاً من الشوق، ما جعلها تنبذ كل تعقل.

عندما حدقت في عينيه، شعرت بالخطر. إن ماثيو خطر تماماً، فقد أفلح، في يوم واحد، في إحياء مشاعرها التي كانت دفنتها منذ سنوات. كان رجلاً أقوى كثيراً من أن تستطيع قيادته أو توجيهه. ولسوء الحظ، التفكير في توجيهه أعاد إلى ذاكرتها مزيداً من الذكريات الحميمة المثقلة.

جذبت يدها من يده، راغبة في إعادة الحدود بينهما: «أنا لست هنا لأتزلف إليك لاستخلاص أي شيء منك. ستخبرني في النهاية، بما يزعجك، وإلاّ، فلن أهتم مثقال ذرة. فقد انتهت صداقتنا منذ

مدة طويلة، فلماذا لا نتابع عمل اليوم ثم يذهب كل منا في سبيله؟»

استند إلى الخلف، مشبكاً ذراعيه على صدره، ثم سمّرها بنظرة متوهجة جعلتها وكأنها حشرة تحت مجهر: «ما الذي جعلك تظنين أن الليلة هي خاتمة صداقتنا؟»

وابتسم، تباً له! دوماً كانت مقاومة ابتسامته العريضة هذه، تجهدها. وتظاهرت بعدم المبالاة: «لست أنا من نبذ صداقتنا، يا ماثيو. وكما أتذكر، كان هذا قرارك عندما دفعتني عنك».

ما زالت مرارة هذه الذكرى تؤلمها. ومثل هذا الألم يدوم مدى الحياة. لقد كان حبها الأول. حبها الوحيد إذا كانت صادقة تماماً. وها هو ذا الآن، بعد كل تلك السنوات، يدّعي بأن لا شيء قد حدث. إنها لن تتساهل معه.

- ألا يمكننا أن نعتبر أن ما فات فات، ونمضي قدماً؟ هذا إلى أنك، حينذاك، كنت مجرد طفلة، ما الذي تتوقعين مني أن أفعله؟

غاظها أن شعرت بعينيها تغرورقان بالدموع. دموع الغضب، والخزي، والندم بكل تأكيد.

- طفلة؟ كنت في الثامنة عشرة. كبيرة بما يكفي لكي أعرف ما أريد، رغم أن هذا لم يكن يهمك. ويبدو أنني كنت مصدر إزعاج... فتاة صغيرة متعلقة بك، تمثل دور مغوية الرجال، يساعدها على ذلك أنوثتها المميزة. هل تذكرك هذه الكلمات بشيء؟

وأخذت تغالب دموعها بعنف. بينما تخلل هو شعره بيده، علامة اضطرابه: «آسف، يا كارا. كنت، حينذاك، قد أنهيت لتوّي دراستي في كلية الحقوق وأقوم بتحضير رسالة التخرج. وكان ذهني مشغولاً جداً ولا يحتمل اهتمام تلميذة مدرسة بي لمجرد الرغبة في الحصول على التجربة و...».

وسكت وهو يراها تقف: «من تظن نفسك، بحق جهنم؟ لم أكن أجرب، بل واقعة في...».

- هاي، أنتما الإثنين. إننا على وشك الابتداء. ماذا يحدث بينكما؟

كانت سالي أمام مائدتهما تقول هذا ويداها على وركيها والتقطيب على جبينها.

أمسكت كارا بذراعها وجذبتها بعيداً عن المائدة وهي تقول: «سالي... أريد أن أتحدث إليك».

ثم خفضت صوتها: «لا يمكنني أن أفعل ذلك. إن ماثيو يسبب لي الجنون. لا يمكنك أن تتوقعي مني أن أمضي ثانية أخرى معه، فكيف بالسبع دقائق التالية؟»

إبتسمت سالي. ولم ينفع هدوؤها إلا قليلاً في تخفيف توتر أعصاب كارا: «إهدأي، يا عزيزتي. أنا أعلم أن الليلة هي محنة. فقط، أرجوك أن تنجزيها لأجلي».

جذبت كارا نفساً طويلاً ثم زفرته. لم يكن ثمة سبيل إلى مقاومة التوسل في عيني سالي: «لا بأس. سأفعل هذا لأجلك، لكنني أقسم بأنني سأخرج من هنا حالما أنتهي من الحديث مع آخر مغفّل هنا!».

- يا لفتاتي الطيبة! والآن اذهبي واجلسي مع ماثيو، ابتسمي له، ثم أجري معه حديثاً قصيراً وإذا بكل عذابك ينتهي قبل أن تنتبهي.

تقدمت كارا تواجه ماثيو الذي لم يكن تحرك من مكانه إنشاً واحداً، فسمع كل كلمة من حديثهما والتسلية على وجهه.

سألها بنعومة: «هل حلّت المشكلة؟»

فتمتمت: «أوشكنا على ذلك. حظاً سعيداً يا ماثيو. أرجو أن تجد ما... أو بالأحرى من تتطلّع إليها الليلة».

- وماذا لو كنت سبق ووجدتها؟

- سأقول لها حظاً سعيداً، فهي ستحتاج إلى هذا الدعاء. الحمد لله أننا قررنا أنني لست الطراز الذي يعجبك.

ومضت في عينيه لمحة من عدم التأكد: «إننا محظوظان، هه؟ من يعلم ما كان سيحدث لو أنني لم أدفعك بعيداً عني في ذلك الوقت البعيد؟»

لكن كارا لم تكن تشعر بأنها كانت محظوظة على الإطلاق.

بعد ذلك بساعة، كانت المحنة انتهت. لم تكن تتذكر ما تحدثت به إلى الرجال الآخرين لأن كلمات رجل واحد فقط بقيت صداها في رأسها. فقد خلب ماثيو لبّها، طوال السبع دقائق المسموح لهما بها، بحديث الغزل الذي يحسنه.

قاومته، بكل تأكيد، لكن ذلك كان كمن يصد الطوفان بعدة أكياس من الرمل. وبرغم مواجهتهما السابقة، كان على التهم أن تُزاح جانباً حيث أنه ركز كل اهتمامه عليها فقط.

لم تستطع امرأة قط أن تقاوم ابتسامة ماثيو وعينيه المغناطيسيتين وحديثه المفعم بالحيوية. لقد جذبها إليه كما تجذب العنكبوت الذبابة إلى بيتها، لتقع في الفخ سواء أحبت ذلك أم لا. مرّت السبع دقائق في لحظة، وتلك كانت قوته فهو يجعل الزمن تافهاً بصوته الساحر.

لقد كسف الرجال الباقين بالمقارنة حتى أنها لم تستطع أن تتذكر كلمة واحدة من الأحاديث الأخرى رغم أن كل رجل منهم كان مهذباً ومحدّثاً لبقاً. وأدركت أخيراً أن سبب ضعف ذاكرتها هذا هو تشتت انتباهها وهي تراقب ماثيو وهو يجذب، بسحره، النسوة الأخريات. تملكها التوتر وهي تراقب كل امرأة وقعت تحت سحره.

ومن يلومهن؟ إنها فعلت نفس الشيء رغم قسمها على التعامل معه ببرودة. من تراها ستكون المرأة المحظوظة؟ وراهنت على امرأة سمراء ناهدة الصدر كانت تصغي إلى كل كلمة يقولها، وتربّت على ذراعه عند كل استراحة من الحديث. أرادت كارا أن تحوّل نظراتها عنها وهي تراها الطراز الذي يحبه، بانتفاخ ملامحها بالسيليكون وخصوصاً شفتيها المكوّرتين. لقد رأت ما يكفي من النساء المتعلقات بذراعه في الصحف، وانزعجت من غيرتها غير المنطقية من كل منهن.

أخذت تحدق إلى الورقة الموضوعة على المنضدة أمامها. ورغم أن الأمر كان مجرد إجراء شكلي، اهتزت يدها وهي تضع كلمة (نعم) أمام اسم ماثيو. بعد نزاعهما الكلامي السابق، لم يعد معقولاً أن يختارها، وهكذا أصبح بإمكانها أن تضع علامة أمام اسمه، شاعرة بالأمان، وذلك أفضل من أن تضع العلامة أمام أي اسم آخر وبشكل عشوائي فتنهي ذلك بزواج يعتمد على الحظ. لا. لا سبيل إلى ذلك. بإمكان جهاز الكومبيوتر لدى سالي أن يطبق سحره على شخص آخر. ليس عليها، حتى الآن، سوى أن تساعد سالي على الخروج من مأزقها الليلة.

ستختار تلك السمراء ماثيو، وهو كذلك. وكلما أسرعوا بالإعلان عن اكتمال ألف رجل وامرأة متلائمين للزواج، كلما استطاعت هي الهرب بسرعة. ماثيو والسمراء! وتقلّصت معدتها لهذه الفكرة.

أخذت سالي ورقتها من أمامها وأضافتها إلى الكومة التي في يدها ثم غمزت بعينها: «لن يطول الامر الآن، تمارضي، ثم... اذهبي إلى بيتك. شكراً مليون مرة، حبي لك».

- وحبي لك أيضاً.

تمتمت كارا بذلك وهي تتفحص الغرفة لترى ماثيو. وكان هذا مستغرقاً في حديث مع السمراء، ومع ذلك، لم يخبرهما أحد بأن السبع دقائق قد انتهت!

أشاحت بوجهها، متمنية أن تنتهي الأمسية. كانت رؤيتها لماثيو مفاجأة جيدة إلى حدٍ ما. أما رؤيتها له متهافتاً على امرأة أخرى، فلم تكن بهذه الجودة.

- سيداتي سادتي، أرجو الانتباه. لقد لاءمت وكالة «وسيط الزواج»، بنجاح، بين تسعمئة وتسع وتسعين زيجة وذلك أثناء السنوات القليلة الماضية. الموعد السريع هو الطريقة المثيرة السريعة والسلسة لتعريف العُزّاب المتلائمين إلى بعضهم البعض. وهكذا، إذا لم يقابل الواحد منكم من يلائمه اليوم، نأمل أن يعود مرة أخرى.

سكتت سالي وهي تومئ باسمة لعاصفة التصفيق وتابعت: «والآن، تعلن وكالة (وسيط الزواج) عن فخرها باكتمال العدد الألف».

أخذت معدة كارا تغلي بشكل غريب. لم تستطع أن تنظر إلى البهجة تغمر وجه المرأة المحظوظة، لأن الشك لم يراودها في أن ماثيو هو الرجل المختار هذه الليلة.

- هل يمكن أن يتقدم ماثيو بيرن وكارا روبرتس إلى هنا، رجاء؟

تسمّرت كارا في مقعدها ذاهلة، تكاد تجزم بأن سالي قد ذكرت اسمها للتو. لابد أن هناك خطأ ما. وازداد غليان معدتها وهي ترى ماثيو يتوجه نحوها.

- أظنهم يريدوننا، يا كارا.

حدقت إلى يده الممتدة إليها وكأنها أفعى. إذا وضعت يدها

بيده، ستضيع. وتحركت شفتاها، واسترخت ملامحها المتوترة بشبه ابتسامة. بإمكانها أن تفعل هذا، إنها مضطرة لذلك.

ضغط على يدها وقادها إلى خشبة المسرح هامساً: «يا لفتاتي الطيبة».

تحركت بشكل آلي، واضعة قدماً أمام الأخرى، غافلة عن اندفاع التهاني والصفير من كل الاتجاهات.

وعندما وصلت إلى خشبة المسرح، ربتت سالي على ذراعها: «آسفة، يا حبيبتي. أنت وماثيو الوحيدان اللذان تلاءما. لم أستطع أن أغش النتيجة، لأن مكتب إدارة الوكالة يفحص النتيجة بالتفصيل، هذا عدا عن أن عدداً من مانحي الجائزة حاضرون هنا، أرجو المعذرة».

حدّقت كارا إليها والدم ينبض في رأسها، بدت سعيدة! على كل حال لم يكن الوقت مناسباً للجدل الآن. كانت هناك أمور أهم، مثل كيف سيمكنها إنهاء هذه المهزلة دون أن تعرّض عمل سالي للخطر؟ وكيف يمكنها أن تمحو اهتمام ماثيو بها وهو الذي اختارها لتؤدّه بصفتها رفيقته المرغوبة؟

وكأن ماثيو قرأ ما تفكر فيه، فتمتم يقول: «فقط سايري الجميع، حالياً».

حدقت إليه، لكن عمق نظرته إليها لم يهدئها كلياً. الكلام أسهل من العمل.

٣ - صفقة مع الشيطان

أخليت القاعة عندما انتهت الرسميات، وأخذت كارا تتلقى التهاني من المساهمين الآخرين، باسمة، بينما ماثيو ممسك بيدها طوال الوقت. وعندما خرج آخر شخص، شعرت بألم في وجهها لطول تظاهرها الشاق بالسعادة. السعادة؟ لا شيء أبعد من ذلك عن الحقيقة. لقد حان الوقت لتصفية هذا الأمر نهائياً.

- هل يمكننا أن نتحدث يا ماثيو؟ وبالمناسبة، يمكنك أن تترك يدي، فقد انتهت المهزلة.

رأت الحرارة في عينيه تنطفئ وهو يترك يدها: «أتريدين بعض القهوة؟ ملامحك تدل على أنك مرهقة وتحتاجين الى فنجان».

لم يعجبها الجفاء في صوته، رغم أن بإمكانها مواجهة ذلك أكثر من مواجهة المودّة، لأن هذه المهمة ستكون صعبة بما يكفي.

- لِمَ لا؟ اجلب لي واحداً من فضلك. سأكون معك عند المائدة التي في الزاوية.

- أتختارين أكثر الموائد انعزالاً في المكان؟ هذا يعني أنك إما تريدين أن تخبريني بمبلغ ابتهاجك لاختياري لك، وإما أنك تخططين للتخلص مني. أي من هاتين هي السبب؟

تصلّب جسدها، وأجفلت مرة أخرى لقدرته على قراءة أفكارها.

- نعم، هذا ما ظننته. أنت تريدينني أن أدفع ثمن ما حدث منذ تسع سنوات، أليس كذلك؟

والتفت نحو النادل المنتظر: «فنجان قهوة وعصير البرتقال لأجلي. لا، بل غيرت رأيي. أرسل إلي قهوة ايضاً».

انتظرت كارا، بدلاً من التوجه إلى المائدة. نظرت إلى ماثيو وهو يتخلل شعره بيده، ثم ينظر إلى ساعته وقد بدا وكأنه متلهف للخروج من هنا، إنها تعرف شعوره هذا نحوها، فما الذي جعله يختارها؟

من المؤكد أن الغرور تملكها. وأية امرأة في مكانها لا يتملكها هذا الشعور؟ كانت شخصية ماثيو المهيبة تجذب النساء، وهي ليست بمستثناة. حتى حالياً، وهو يبدو فارغ الصبر، لم تكن تَخفى الهالة القوية التأثير التي تحيط به تحت البذلة. لم تقلل الملابس الحديثة الطراز من اتساع صدره ونحافة خصره وطول ساقيه.

وانطلق خيالها وهي تتصور مدى وسامته.

- أتخططين لهجوم ما؟

أعادتها هذه المقاطعة منه إلى الحاضر، لكنها لم تهدئ من نبضها المتسارع. إن عليها أن تتحكم بدقات قلبها إذا شاءت أن تتفادى ارتكاب هفوة مخجلة.

- أنا لست زبونة هنا، يا ماثيو، ولا أخطط لهجوم. أريد فقط أن أتحدث.

قالت هذا بحدة وهي تندفع نحو المائدة، غاضبة أكثر من الشعور الذي يتابها حياله.

أخذ ماثيو ينظر إلى كارا وهي تندفع إلى الأمام، رافعة الرأس، وهو يتساءل عما حدث لكارا الهادئة الخجول التي كان يعرفها. ظن أنها ستكون سعيدة إذا هو اختارها، ليس غروراً منه بل لإحساس منه بأنها كانت سعيدة مثله بتجديد صداقتهما. يبدو أن هذا غير صحيح، وبالنسبة إلى ثقته بقدرته على قراءة الأفكار، كان حكمه، هذه المرة،

بعيداً عن الواقع، ما جعله يضطرب.

- إليكما القهوة، حسب الطلب.

حدق إليها وهي تجلس. كانت مذهلة. كان ثوبها الأسود يضفي إلى جمالها الساحر، شيئاً من الغموض والجاذبية التي شدته إليها بشكل صعب معه ضبط مشاعره وأحاسيسه الملتهبة. وعندما ذكّر نفسه بأن هذه مجرد علاقة عمل، عاد يردع نفسه بنفسه متمتماً: «وماذا عن مشاعري القاتلة تجاهها؟»

فسألته وهو يرشف قهوته: «عفواً، لم أسمع؟»

وكانت تحدق إليه بعينيها الخضراوين المتألقتين اللتين تقنعانه بأن مشاعره ستصبح أعمق مما يظن.

- لا شيء. والآن، هل تريدين أن نتحدث؟

تنفست بعمق، تهدئ نفسها. وجدت من الصعب أن تركز على المهمة التي لديها وماثيو يحدق إليها وكأنها وجبته التالية.

- إننا بحاجة إلى تحديد هذا الوضع. أنا لا تهمني المواعيد الغرامية، حالياً، مع أي شخص. السبب الوحيد لوجودي هنا الليلة هو لأساعد سالي في إتمام أرقامها. على كل حال، وبما بإمكاننا أن نتحدث مع سالي، فيمكنك أن تتخذ رفيقة خيري من بين السيدات الأخريات.

وأخذت تسوّي ثنيات تنورتها لتخفي اضطراب يديها.

- لا.

فارتبكت إزاء نظراته المتفحصة المقلقة.

- لقد اخترتك، يا كارا، لأجل سبب خاص، لأنك نوع المرأة التي أبحث عنها.

- وما نوع تلك المرأة؟

مال إلى الأمام وأخذ يحدق في عينيها مباشرة: «ذكية، مستقلة، لا أوهام لديها. من حديثنا السابق فهمت أنك لا تهتمين بي عاطفياً بأي شكل كان. حتى أنك رفضت دعوتي إلى فنجان قهوة عصر هذا اليوم. وهكذا أنت الخيار الأفضل لي».

فاضطربت أفكارها: «لا أفهم».

فابتسم دون أن تصل ابتسامته إلى عينيه. في الواقع، أصبحتا مظلمتين باردتين كالثلج: «كرهك الواضح لي هو ما أريده بالضبط، لن يكون ثمة تصوّر خاطئ من ناحيتك، ولا إمكانية وقوعك في حبي وبالتالي إفساد الاتفاقية. لأن هذا ما ستكون عليه مسألة المواعيد الغرامية، مجرد اتفاقية، ترتيب عمل بيننا، لا أكثر. ستظهرين وكأنك حبيبتي الثابتة المستمرة طوال الستة أشهر القادمة، وذلك حتى أضمن الشراكة في شركة أبي، هذا هو الأمر».

نظراته الباردة قوّت الكآبة في صوته ما جعلها تعلم بالضبط شعور خصمه في قاعة المحكمة، من إرغام وهزيمة ودمار. وكانت من الحماقة بحيث ظنت أنه ربما ما يزال يكن لها بعض المشاعر... فيا لها من نكتة!

- وماذا أستفيد أنا من هذه الاتفاقية؟ أتظن أن من الممكن شرائي؟

قالت هذا بصوت ثابت، كارهة أن تمنحه أية فائدة.

- كل شخص يمكن أن يُشترى، والثمن وحده هو الذي يختلف.

فانكمشت: «منذ متى أصبح لديك هذا التشكك في الدوافع الإنسانية؟».

- أنا لست متشككاً بل واقعياً. إنني أشهد قوة المال في الشراء، يومياً. وخصوصاً خبرتي الأولى مع أبي.

لفظ هذه الكلمات وكأنها سم.

- أبوك؟

- إنه المثال لما يمكن أن يفعله المال. إسألي فقط آخر زوجاته. الزوجة رقم ثلاثة والتي تصغره بعشرين سنة ومثله حباً للمال. هذا محزن، أليس كذلك؟ على كل حال، هذا يكفي بالنسبة إلى أسرتي.

تسابقت الأفكار إلى ذهنها. إذا هي قبلت عرض ماثيو الغريب هذا لأجل المال، أمكنها حل مشاكلها المالية. ستتمكن من إنقاذ «وسيط الزواج» بضمان المكافأة المالية لسالي، ومن ثم تركز على تعزيز عملها الخاص بها. ذلك أن المال هو الوحيد الذي يمكنها التفكير فيه لجعل هذه الإتفاقية غير عاطفية ومتماسكة وعملية مئة بالمئة.

- هذا حسن، أنا قبلت، يا ماثيو. سأتظاهر بأنني حبيبتك طوال ستة أشهر وذلك مقابل ثلاثين ألف دولار.

أجفل لكنه سرعان ما تمالك نفسه: «تمت الإتفاقية. سأكتب العقد غداً صباحاً. هل يمكنك الحضور إلى مكتبي حوالى العاشرة؟»

فأومأت: «لدي موعد في «بوندي» حوالى الحادية عشرة. هل سيستغرق ذلك وقتاً طويلاً؟»

- لا، مكتبي في المدينة. سيتم انجاز الاتفاقية سريعاً دون إرهاق.

تساءلت عما إذا كان يعني بذلك توقيع العقد، أو الرحلة، أو التعامل. أنهى فنجانه ثم وقف: «أتريدين أن أوصلك إلى بيتك؟»

فهزت رأسها: «لا، شكراً. لدي سيارتي هنا».

فناولها بطاقة عمله: «في هذه الحالة، هنا كل التفاصيل. سأراك غداً».

مدّت يدها إلى البطاقة فتلامست أصابعهما. أجفل ماثيو مبعداً أصابعه وكأن ناراً لذعتها، وبدا في عينيه تعبير غير مفهوم.

- إلى اللقاء، إذن.

أخذت تنظر إليه مسرعاً نحو الباب دون نظرة إلى الخلف، وهي ترشف قهوتها متلذذة بدفئها. لم يسر المساء حسب الخطة التي كانت رسمتها ولم يكن بمقدورها القيام بشيء في هذا السبيل عدا رفض مشروعه هذا. ولكن هل تتخلى عن سالي في وقت الشدة؟ أبداً! إنها مدينة لها وستسدد لها دينها.

فلماذا تشعر إذن بأنها عقدت لتوّها صفقة مع الشيطان؟

٤ - اتفاقية ممهورة بالحب

دخلت كارا مكاتب شركة بيرن وشركاه، الرائعة. نظرت في أنحاء قاعة الاستقبال، المطوّقة من الأرض إلى السقف بزجاج يشرف على سيدني. كان كل شيء يصرخ بالثراء... خشب الأرض المصقول، الكراسي المنجدة بالجلد عاجية اللون، واللوحات الزيتية تغطي الأمكنة الرئيسية على الجدران.

كانت موظفة الاستقبال تتلاءم مع الصورة، هي أيضاً. فهي ممشوقة القوام، مهذبة وحادة كالسيف:

- أية خدمة؟

- نعم. ماثيو بيرن ينتظرني. أنا كارا روبرتس.

- سأبلغ السيد بيرن بوصولك.

وابتسمت لكارا وهي تنقر على التليفون: «الآنسة روبرتس تريد أن تراك، يا سيد بيرن».

وقفت وقالت لكارا: «اتبعيني من فضلك».

أعجبت كارا بأناقة الموظفة وغلاء ملابسها، وسرّها أنها هي أيضاً تبدو أنيقة حيث أن هذا النهار يتوجب فيه عليها أن تكون أنيقة، فارتدت «طقماً» حديث الطراز أحمر اللون «بقبة» و «تخريج» أسود اللون. وكانت سالي تقول إن المظهر يرهب الناظرين، خصوصاً الرجال. وهكذا احتفظت بهذا الثوب لترتديه أثناء إجراء الاتفاقيات خصوصاً مع الزبائن الصعبين من الرجال.

شكرت الموظفة وهي تنقر على باب يحمل لوحة مكتوباً عليها (ماثيو بيرن).

- أدخل.

ألصقت كارا ابتسامة متألقة على وجهها وهي تفتح الباب، متجاهلة خفقات قلبها: «صباح الخير، يا ماثيو. كيف حالك؟»

رفع بصره عن الأوراق ثم نظر إلى ساعته: «العاشرة بالضبط. أنا أحب المرأة التي تلتزم بالمواعيد».

عندما وقف وتقدم نحوها، توقف خفقان قلبها. كان منظره لا يُصدّق. كان يرتدي بذلة سوداء مخططة، وقميصاً داكن الزرقة وربطة عنق مناسبة، فأسبغ عليه كل ذلك مظهر رجل محترف ينضح بالقوة. كان القميص بلون عينيه اللتين كانتا، حالياً، مسمرتين عليها.

- أتريدين كوب قهوة؟

- لا، شكراً. ليس لدي وقت. هل نسيت أن لدي موعداً في الحادية عشرة؟

لم تكن تريد أن تبدو سيئة الخلق، لكن هذا ما أنبأ به صوتها. كريهة جاحدة!

- حسناً، فلنجلس إلى العمل. هوذا العقد. ألقي عليه نظرة وأخبريني برأيك.

تناولت منه الورقة وجلست، مسوّية التنورة بحذر. بينما حاستها السادسة متنبهة تماماً. لم يعد ماثيو إلى كرسيه وإنما استند إلى مكتبه وأخذ يراقبها. كان كل إنش منها يشعر بنظراته ومع ذلك رفضت أن تنظر إليه. ومن ناحية أخرى أرادت أن تركز اهتمامها على العقد لتحل رموزه.

كانت النواحي القانونية تخيفها بما فيها من فقرات وشروط لا

تنتهي. وعلى كل حال، بدا لها هذا العقد سهلاً واضحاً. ولم يستعمل ماثيو كثيراً من المصطلحات غير المفهومة، لكنها فهمت مضمونه. إنه يشتريها بصفة حبيبة بثلاثين ألف دولار، إنه مبلغ صغير يكفي لبعث الاطمئنان في نفس سالي، وفي نفسها هي أيضاً. وهذا لا يعني أنها تنوي أخذ المال لنفسها، إنها فقط ستسحب مبلغاً تنقذ به عملها. فهذا العقد، فقط، لردّ دين سالي عليها.

- أين عليّ أن أوقع؟

ورفعت بصرها إليه، فإذا بتعبير يمرّ على وجهه بسرعة دون أن تستطيع فهمه.

أخرج من جيبه الأعلى قلماً وانحنى ثم وضع نقطة على العقد: «على هذه النقطة هنا».

أخذت تحدّق إلى العقد بجمود، لم يستطع عقلها أن يعمل وماثيو منحنٍ فوقها، وشذا محلول بعد الحلاقة يغمرها بسحابة تطير بها إلى الفضاء. أكانت الحرارة تشع منه، أم هي الحرارة الباعثة على الوهن والاسترخاء التي تتسرب منها هي، ما جعلها تريد مزيداً من الهواء عندما وصلت الحرارة حولهما إلى درجة الغليان؟

- كارا؟

حتى الطريقة التي لفظ فيها اسمها، شعرت وكأنها ملامسة الحرير. تملكها إحساس غريب دافئ. لم يحدث قط أن جعلها رجل تشعر بهذا الشكل. ما الذي كان يحدث؟ لم يعجبها شعورها هذا بعدم التحكم في نفسها.

واهتزت يدها وهي توقّع العقد ثم قالت: «خذ، لقد انتهى كل شيء».

ووقفت بسرعة متلهفة إلى مغادرة مكتبه. ولسوء الحظ، كانت

ساقاها تهتزان كبقية جسمها، فترنحت، مادة يديها لتتمسك بالمكتب.

تمتم ماثيو وهو يمسك بذراعيها: «لقد أمسكتك. هل أنت بخير؟»

فضلت لهجته الليلة الماضية، الباردة المترفعة. ذلك أن لهجته الآن والاهتمام يشعّ من عينيه، توشك أن تصيبها بكارثة.

أومأت تجيبه، غير قادرة على أن تتكلم أو تحوّل عينيها عنه. قال بابتسامة دافئة بطيئة مغرية: «ألا تظنين أن بإمكاننا أن نجد طريقة أفضل نتمم بها صفقتنا؟ وعلى كل حال، أنت حبيبتي الجديدة».

توقف قلب كارا عن الخفقان. لم تعد تحتمل قربه منها، ومع ذلك، لم تجد القوة للحركة.

ولمعت في ذهنها كلمتان (حذار، خطر). إذا هي لم توضح حدود علاقتهما حالياً هنا، ستحدث مشكلة كبرى.

- أنا حبيبتك أمام الناس فقط. ونحن حالياً لسنا في استعراض.

من أين جاء ذلك الصوت المنخفض الفياض بالرقة؟ وأجابتها ومضة من الحرارة توهجت في عينيه: «أعرف هذا، يا حلوتي، ولكن ما هو الضرر من التظاهر بأننا حبيبين حقيقيين حتى لو كنا لوحدنا؟ يقول المثل إن (التدريب يأتي بالكمال)».

حدق إلى عينيها، ثم أحنى رأسه ببطء يضمها إليه بحنان وشوق. بينما أغمضت هي عينيها وأمالت رأسها عاجزة عن إيقاف عجلات تجري. وعندما ازدادت حرارة العناق، فقدت كل منطق. وهمست: «كنت أظن أن المثل هو (التمرين الطويل يأتي بالكمال)».

إنها اللحظة التي كانت تحلم بها، وتلهفت إليها منذ عيد ميلادها الثامن عشر وطوال السنوات التي مرت بعده. وعندما أحست به

بقربها، شعرت بالحياة تدب في جسدها.

وعندما مالت عليه، تأوه. حدقت كارا إليه، ثم تراجعت. ما الذي جعلها تثيره إلى هذا الحد؟ إنها، عملياً، هي التي ابتدأت هذا المشهد بينما كانت تريد أن تبدو هادئة متحكمة في نفسها. هه!

كيف يمكنها أن تستمر ستة أشهر في التظاهر بأنها حبيبته بينما لم تستطع أن تدفعه عنها في أول يوم؟

لقد محا عناقه أية فكرة كانت لديها عن تحكمها في نفسها وازدرائها لهذه الإتفاقية. وكانت أقنعت نفسها بأن ماثيو يثير الحزن إذ يضطر إلى شراء امرأة لكي يضمن أن يكون شريكاً في شركة والده. كما أنها سخرت من فكرة أنها ما زالت تحبه، مرجعة استيقاظ مشاعرها إلى صدمة المراهقة. من المؤكد أنها هي التي تثير الحزن.

- يجب أن أذهب يا ماثيو.

خفق قلبها لمظهر الإرتباك على وجهه.

دار حول المكتب، وكان واضحاً أنه يريد أن يبتعد عنها قدر إمكانه: «سأتصل بك. لديّ عدة دعوات للعشاء أثناء الأسابيع القليلة القادمة وسنكون بحاجة إلى جدول».

- هذا حسن، اتصل بي.

وسكتت لحظة، ثم عادت تقول: «ماثيو، بالنسبة إلى ما حدث منذ قليل...».

- لا تقلقي. اعتبريها طريقة حديثة لختم اتفاقية.

لم يكن ينظر إلى ناحيتها وهو يضع الاتفاقية في مغلّف، متابعاً: «سأتصل بك».

خرجت كارا من الغرفة، شاعرة وكأنها عوقبت وطردت. ولم

تدرك أنها كانت تحبس أنفاسها إلا بعد أن أغلقت الباب خلفها واستندت إليه.

٥ ـ ممثلة بارعة

صفقت كارا خلفها باب شقتها تغلقه، ثم رفست حذاءيها من رجليها وألقت حقيبة أوراقها من يدها محدثة دوياً، بينما هبطت هي على الأريكة واستندت إلى الخلف وأغمضت عينيها.

يا له من يوم! منذ وقعت عقدها السخيف مع ماثيو هذا الصباح، أخذت الأمور تسوء، وبسرعة.

لقد عطلت أعمال الطرق سيرها إلى «بوندي»، حيث موعدها، ما جعلها تتأخر عنه نصف ساعة. وقد عنفتها بينيلوب، وهي امرأة متغطرسة وزوجة أحد أقطاب الصحافة جاك نورمندي، عنفتها طوال الساعة التالية لتأخرها هذا رغم اعتذارها لعدم اتصالها بها تليفونياً. وكان انشغالها مع ماثيو هذا الصباح قد أنساها أن تشحن تليفونها الخليوي بالكهرباء.

وزاد الأمر سوءاً أن بينيلوب وابنتها المراهقة المدللة، قد سخرتا من كل فكرة عرضتها لتجديد «ديكور» بيتهما الفخم. وعندما جاءت حماة بينيلوب وانضمت إليهما في تصرفهما هذا، كانت استنفدت كل ما بقي لديها من لباقة. بينما أصبحن، هن الثلاث، أشبه بفريق من الرعاع.

- حبيبتي بينيلوب... ألا تظنين أن هذا القماش القطني المطبع مبهرجاً للغاية وخارجاً عن الذوق؟

- آه، كلا، إنه رائع للغاية. ألا تظنين أن أفكار كارا هي عتيقة

www.elromancia.com

الطراز غير مألوفة؟ وعلى كل حال، إنها هي الخبيرة.

عند ذلك نظرت الحماة إلى كارا متفحصة بفطرسة بالغة وكأنها شيء غريب قد جرّته الأسرة لتوّها إلى البيت.

- حسناً، يا أمي، لديّ، أنا وبابا اتصالات أخرى بمحلات للديكور، إذا كانت هذه غير مناسبة.

لقد ابتسمت بأدب، مفكرة في العمولة الباهظة... ثم عبست عندما أدرن لها ظهورهن.

بعد أن تركت النساء الثلاث لشأنهن، عادت إلى المكتب لتجد على شاشة الكمبيوتر كومة من أمثال واقتباسات لا تنتهي. حتى أوليفيا، مساعدتها الأمينة، تعاكسها في ساعة حاجتها هي إليها. كانت أوليفيا قد أحضرت آخر نشرة من «الفاينتشل تايمز» حيث كانت صورة صديق كارا السابق المحامي ستيف روكويل تتصدر الصفحة الأولى منها، مع مقالة أخذت تتغنى بفضائله. ولسوء الحظ، وهي تفكر في المحامين، توهجت صورة ماثيو المليء بالحيوية في ذهنها، فلم تستطع أن تزحزحها ما جعل أوليفيا تتضايق: «ماذا حدث لك؟ أرى في عينيك هذه النظرة الزجاجية الشاردة التي تبدو فيهما في كل مرة ترين فيها صورة ميل جيبسن في مجلة».

- لا أدري ما الذي تتحدثين عنه. فأنا لم أعد متحمسة لميل جيبسن منذ شهر على الأقل.

بالطبع، لقد خطفت مزاعم أوليفيا... وعلى كل حال، منذ تسلل ماثيو إلى أفكارها، لم يعد ثمة سبيل للهرب. لقد استذكرت لحظات العناق ألف مرة، مستعيدة كل الأحاسيس والحلاوة التي مرّت بها. وأخيراً، بعد أن شتمت الكومبيوتر، وحدقت ساعة إلى معلوماته دون أن تفهم شيئاً، أنهت العمل لهذا النهار.

وجودها في البيت لم يكن يعني أن توترها زال. فقد ازداد استغراقها في التفكير، وأخذت تمسّد صدغيها وهي تتنفس شهيقاً وزفيراً بعمق، رغبة في الاسترخاء جسماً وذهناً. وبعد، لقد كان مجرد... مجرد عناق.

وعكّر هدوءها المؤقت رنين التليفون: «هالو... كارا تتكلم».

أجابت بحدة تقريباً، ولم يستطع صوت ماثيو الأبح أن يلطف كثيراً من هذه الحدة: «إنك المرأة التي أبحث عنها بالضبط. كيف أمضيت نهارك؟ ولماذا هذه الحدة؟»

- كان نهاري كارثة منذ البداية إلى النهاية، إذا كان يهمك أن تعلم.

قالت هذا بلهجة صبيانية لكنها لم تهتم. إنه آخر شخص تريد أن تتحدث إليه، حالياً.

- أليس هذا سيئاً؟ حتى صباحك؟

شعرت بالذعر ونفخة أشبه بالسخرية تصدر من أنفها: «خصوصاً الصباح. لقد لوّن النهار كله. شكراً للاجتماع معك الذي جعلني أتأخر عن موعد هام للغاية».

- آسف للذلك، رغم أن اجتماعنا لم يكن طويلاً جداً. وكما أتذكر، كان وقت عقد الصفقة قصيراً حلواً. أنت لم تنسي اتفاقيتنا، أليس كذلك؟

كانت الاتفاقية سهلة، لكن الحرارة تملكتها وهي تتذكر الطريقة التي ختماها بها.

- كلا طبعاً، هل هذا هو سبب اتصالك؟ لأن الوقت حان للحصول على شيء مقابل نقودك؟

وسرعان ما ندمت على قولها هذا. وكان الصمت الذي تبع هذا

من الطرف الآخر للخط، ينذر بالسوء. وبدلاً من شعورها بالسخونة والارتباك، شعرت بالغثيان.

وقال بصوت بارد بعث القشعريرة في جلدها: «ما أشد فطنتك، يا حبيبتي! لديّ عشاء عمل الليلة، وسآتي لآخذك الساعة الثامنة. إذا كان هذا الصباح يدلّ على شيء، فعلى أنك ستعطينني أكثر مما تستحقه نقودي. إنني متلهف لأن أرى ماذا ستفعلين عندما تقارب اتفاقيتنا نهايتها».

- يا لك من . . . .

- سأراك في الثامنة. ارتدي ملابس لائقة.

وأقفل الخط فأخذت تحدق إلى السماعة وهي تنهال بسيل من شتائم لا تليق بسيدة. ألقت السماعة مكانها بعنف ثم سارت إلى الحمام. كيف يجرؤ على أن يتحدث إليها بهذا الشكل؟ لقد سبق وشعرت بأنها سلعة مملوكة وهو يخبرها متى سيخرجان وإلى أين. إنها لم تشأ سماع هذا منه.

بدّلت ملابسها ثم، وهي ترتجف، أخذت تنزع قرطيها اللهبيين بأصابع متوترة وإذا بقرطها ينقسم إلى اثنين.

جلست في سريرها ووضعت رأسها بين يديها وأخذت تبكي بصوت عال. وارتفعت شهقاتها في سكون الغرفة وبدت لها دموعها هذه صبيانية ما جعلها تشعر بالغباء. لكن ذلك خفف عنها. يمكنها أن تجد بديلاً لقرطها، ولكن لا يمكن ذلك بالنسبة إلى رجاحة عقلها. منذ وقعت تلك الاتفاقية أخذت تتصرف بشكل جنوني، ابتداءً بذلك العناق المحموم.

لقد كانت متوحشة على التليفون، لتوّها، وهي تفرغ ما تشعر به من إحباط على ماثيو. وإن كان هذا لا يعني أنه لا يستحق بعضاً

منه. فهي، لولاه، لما تعرضت لمثل هذا التحقير.

وبدت لها تلك السنة أشهر كحكم بالإعدام. كيف يمكنها التظاهر بأنها حبيبته بينما كل ما كانت تحلم به هو أن تكون حبيبة حقيقية له؟ إن علاقتهما متوترة، في أفضل الأحوال، فهل سيلاحظ الناس اللعبة؟ ماذا سيحدث حينذاك؟ هل يلقي ماثيو بها جانباً ليبحث عن امرأة أخرى يشتريها؟ لأن هذه هي صفتها، في الواقع. مجرد سلعة اشتراها. رباه. . . لابد أنه ظنها رخيصة.

وماذا يهمك من ظنونه؟ فكري في سالي، فأنت مدينة لها.

وخفف عنها تفكيرها في سالي مشاعرها هذه، فجففت دموعها وسارت إلى الحمام، متلهفة إلى غسل مصائبها.

يمكنها القيام بذلك. وإذا كان ماثيو يراها سلعة اشتراها، فهذا، بالضبط، ما ستمنحه له. . . مجرد متاع جميل، شيء يتباهى به أمام زملائه التافهين من رجال الأعمال. وإذا توقع منها أي شيء آخر، سيكون تمنيه عبثاً.

* * *

رن ماثيو جرس الباب، وانتظر. نظر حوله فلاحظ التآلف الجميل بين اللونين الأحمر والتبني الذي يزيّن الشرفة الأرضية لهذا المنزل المؤلف من طابقين.

كانت صفوف أنيقة من الأشجار القصيرة تحيط بفناء صغير مفروش بعشب وفير انتشر في أنحائه بشكل بارع، نبات «الباتونياس» المزهر. أما الطريق إلى المدخل فكانت تحيط بها آنية فخارية تحتوي على أزهار متناسبة الألوان. كان تمييزه التفاصيل يزعجه أحياناً رغم أنه يفيده في العمل، لكنه لا يستطيع أن يكبحه. إن كارا موهوبة وهو يشهد لها بذلك. إذا كان ظاهرها جيداً بهذا الشكل، فلا شك أن

داخلها سيكون مذهلاً.

إنه معجب بنجاحها. كانت دوماً تريد أن تكون مصممة ديكور، وذلك منذ صممت الديكور لمنزل سالي وهي في الرابعة عشرة. فقد حوّلت داخل المنزل المملّ إلى تحفة فنية مع قليل من الجهد.

وعندما انفتح الباب، عاد بأفكاره إلى الحاضر.

- هالو ماثيو. على الموعد تماماً.

تسارعت مخيلته وهو يسمع صوتها المثير. من أين جاءت هذه الإثارة فيه؟ إنه لم يكن كذلك حين حدثته سابقاً على التليفون، بل كان أبعد ما يكون عن الإثارة. قاوم إظهار دهشته.

كانت أشبه بحلم، وقد التفّت بثوب أخضر عكس لون عينيها وبشرتها الصافية ومن ثم استرسلت ثنياته الناعمة إلى ركبتيها. استطاع، بصعوبة، أن يحوّل نظره عن جمالها المتألق. وكانت كوّمت شعرها عالياً إلى رأسها، تاركة عدة خصلات منه حول وجهها. كان يكره التبرج، لكنها استعملت القليل منه لكي تبرز عينيها الواسعتين وفمها الممتلئ. وكانت النتيجة مذهلة.

- تبدين رائعة.

تمتم بذلك فلاحظ الاحمرار الخفيف الذي تصاعد إلى وجنتيها. كان الخجل عادة فيها لم تتخلص منها وكان يعشق ذلك.

- شكراً. أمستعد للذهاب؟

أومأ غير واثق من مقدرته على الكلام وهي تستدير لتقفل الباب. كانت تلبس أكثر الجوارب شفافية فيجذب لمعانهما النظر إلى طول ساقيها.

- إلى أين نحن ذاهبان الليلة؟

وحدقت إليه تنتظر جوابه، لكنه لم يستطع أن يتذكر ما قالت.

لقد كان مستغرقاً في تصور جمالها الأخاذ.

- عفواً... ماذا قلت؟

ولحسن الحظ، ضحكت... نفس الضحكة التي كانت تسخر بها منه منذ تلك السنوات فيضحك لها من كل قلبه.

- هل أنت بخير يا ماثيو؟

- نعم، مجرد شرود في الذهن. ثم إن العشاء هذه الليلة هام. أحد منافسي شركتنا يتذمر من موظفينا وأنا أريد أن أضع حداً لذلك.

لم يضف الجزء المتعلق بأبيه وهو أنه قد ينظر إليه بشكل جاد إذا تمكن هو، ماثيو، من إنجاز ذلك.

- أليس ذلك عملاً لا أخلاقياً؟

فهو كتفيه: «نعم، ومع ذلك لم يعد يدهشني شيء في عالم الشركات، الذي يبدو وكأنه محاط بأسماك القرش. خطوة واحدة خاطئة تسبب الهلاك».

ضحكت بهدوء: «يبدو ذلك أشبه ببعض زبائني، أتعاطف معك منذ بالمئة».

شاركها الضحك وهو يفتح لها باب السيارة شاعراً بالرضى. لقد افتقد صداقتهما الحميمة وإلفتهما الماضية. إذا أمكنهما المحافظة على هذا المستوى من الصداقة أثناء الستة أشهر التالية، ستكون المهمة أمامهما أسهل مما يعتقدان.

- سيارة جميلة، إنها تعبّر عن شخصيتك تماماً.

وجالت بنظراتها في داخل السيارة الحديثة الطراز، تشتم رائحة الجلد الجديد العبقة.

- ماذا تعنين بذلك؟

هدأ المحرك قليلاً وماثيو ينظر إلى كارا. لم تعد تتذكر متى نظر

إليها بذلك الشكل من العمق والتفحص، وأثر من الارتياب.

- لا تكن عدائياً بهذا الشكل. كل ما عنيته هو أنها سيارة رياضية فضية تدل على مركز اجتماعي هام وهذا ما أردته طوال حياتك. وهذا هو سبب وجودي هنا، لكي تتمكن من أن تقنع أباك بأنك تصلح لتكون شريكاً، أليس كذلك؟

تمنت لو قطعت لسانها. كلما تحدثت إليه، تأتي كلماتها مثقلة بالإدانة، رغم تصميمها على أن تبدو هادئة.

لمعت عيناه لحظة، وتوتر فكه: «نعم، هذا هو سبب وجودك هنا، والآن، فلنذهب».

ساد بينهما صمت غير مريح. اختلست النظر إلى جانب وجهه عدة مرات، متظاهرة بالنظر إلى المشاهد التي كانا يمران بها. ما هذا؟ إنه ليس وسيماً فقط وإنما بالغ الروعة. إنه من نوع الرجال الذين يجعلون المرأة تؤمن بتعدد الزوجات. وكان الآن يرتدي بذلة سوداء وقميصاً أبيض منشّى تحت السترة. وكان التنفس داخل السيارة صعباً إذ كان جوّها عابقاً برائحة محلول ما بعد الحلاقة ما أدار حواسها. سيكون تركها له بعد ستة أشهر أشبه بجهنم.

- هل رأيت شيئاً يعجبك؟

أجفلت لسؤاله. يكفيها مراوغة، فقد كان واعياً طوال الوقت إلى تحديقها إليه. وإذ أتعبها التوتر، وصلت إلى قرار سريع. ستجتهد بقية السهرة في أن يبقى الحديث خفيفاً. دون سهام واخزة، ولا إدانات.

- ربما، رغم أنني أظن أن نظرة عن قرب هو شيء أرغب به فعلاً.

دمدمت ضحكته المنخفضة كالرعد. إنها تحت العواصف...

العنيفة المثيرة الرائعة، مثل ماثيو تماماً.

- يمكننا أن نرتب أمر ذلك. إلى أيّ مدى تريدين أن يكون القرب؟

أثار صوته المنخفض أعصابها، مشعلاً مخيّلتها. فتمتمت ونبضات قلبها تتسارع: «أريده قرباً حقيقياً».

- أتعنين ذلك أم أنك ابتدأت بالتمثيل؟

- عفواً؟ لم أفهم.

- انظري جيداً إذاً. ها نحن هنا. فقط ظننت أنك تتدربين على دور الحبيبة.

نظرت حولها بدهشة. كانت أفكارها مستغرقة في كلامه المعسول وإلفة السيارة إلى حد لم تلاحظ معه أن السيارة توقفت عن السير.

- صدقت، كان الأمر كذلك.

أجابت بذلك راجية أن لا يفضحها احمرار وجهها، بينما تحترق إزاء دعابته. يا إلهي... لو أنه عرف فقط أين كانت أفكارها قبل أن يوقف السيارة.

ألقى عليها نظرة أطول من المعتاد قبل أن يشيح بوجهه، قائلاً: «هذا ما ظننته. مثلت دور الحبيبة المغرية جيداً وسيكون عليك أن تضيفي كلمة «ممثلة» إلى قائمة مواهبك. لقد جعلتني أنخدع بك لحظة».

أخبره بأن ذلك صحيح! إنها الآن فرصتك.

أخذ صوت داخلها يهتف بها بذلك، لكنها، بدلاً من هذا، فتحت باب السيارة وخرجت منها، وهي تقول: «آه، إنني امرأة ذات مواهب كثيرة. وكلما أسرعت في استنتاج ذلك، كان أفضل».

- يا للنساء.

تمتم بذلك وهو يقفل السيارة بعنف وشراسة، وعندما رفع رأسه، أطفأت نظراته الباردة مخيّلتها النارية أشبه بدلو من الماء البارد.

هذا يكفي لنجاح خطته.

- هذه الليلة هامة بالنسبة إليّ. شكراً لوجودك هنا.

لاحظت ومضة من الشك في وجهه، مسبغة عليه عجزاً مسّ قلبها.

- ليس ثمة مشكلة.

أجابته بوقاحة. إذا أبقت على برودتها، لن يكون ثمة فرصة لإضعاف دفاعاتها مرة أخرى، فليغازلها كما يشاء، فهي مستعدة له.

وعلى كل حال، عندما حاولت أن تتجاهل تسارع نبضها، وهو يقودها، أدركت أن ثمة مشكلة... بل مشكلة ضخمة. وكان هو يقودها إليها بنفسه.

٦- ابتسامته محفورة في مخيلتها

- إذاً، كيف حال مصممتي المفضلة للديكور الداخلي، هذه الأيام؟

وقبّلها ستيف روكويل على خدها، وللوهلة الأولى، كادت غريزة كارا تدفعها إلى التراجع مبتعدة عنه. لكنها، بدلاً من ذلك، وضعت على وجهها قناعاً من التهذيب وابتسمت له.

- أنا بخير، شكراً يا ستيف. كيف حالك؟

- أحسن لأنني رأيتك. تبدين رائعة كالعادة.

أشعرتها مجاملته بعدم الارتياح، باعتبار ماثيو واقفاً بجانبها مباشرة. وارتبكت تحت نظرات ستيف المتفحصة. دوماً كان يجعلها تشعر بالارتباك وبأنها ليست كفوءة بما يكفي، كانت سلوتها الوحيدة شعورها بقرب ماثيو منها. وتجاهلت مديحه، إنه لم يتغير ذرة واحدة، نفس الشعر الأشقر الفوضوي، والعينين الباهتتي الزرقة، والبذلة التي لا عيب فيها والكلمات المصقولة. كان يبدو كقطعة تساوي ملايين الدلارات وكان يعرف ذلك. ولكن من المؤسف أن ليس لديه قلب.

ساد صمت مريك قبل أن تندفع قائلة: «أريدك أن تتعرف إلى صديق لي، يا ستيف، هو ماثيو بيرن».

حملق ستيف في ماثيو وقد استحالت عيناه إلى قطعتي ثلج: «ما الذي تفعله هنا، يا بيرن؟ هل خرجت من القوقعة مجدداً؟»

www.elromancia.com

تملكتها الدهشة ودار رأسها بين الرجلين فرأت قناع الثعلب المتماسك الذي يضعه ماثيو عادة على وجهه، ينزلق وهو يشدّ قبضته في توتر واضح.

- وأنا أيضاً مسرور لرؤيتك، يا روكويل. أنت لم تفقد أياً من سحرك، كما أرى.

كان بإمكان البرودة في صوته أن تجمد القطب الجنوبي بشكل مضاعف.

- ولماذا أضيّع سحري على أمثالك؟ أفضّل أن أركزه على المرأة الجميلة التي بجانبك.

رفع ماثيو ذراعه إلى كتفها وشدّها إليه. ولم يكن لدى كارا خيار سوى أن تتجاوب معه.

- هذا أذكى كلام تفوهت به يا روكويل منذ زمن طويل، لأن كارا ليست جميلة فقط، بل هي أيضاً دافئة رائعة مرحة. وهي أيضاً حبيبتي.

شخر ستيف ساخراً: «يا للفتاة المسكينة. يبدو أنها لا تعرفك جيداً. كم سيمضي من الوقت حتى تسجلها بصفتها الرقم المئة من غزواتك؟»

انغرزت أصابع ماثيو في كتف كارا: «حذار، يا روكويل...»

- ما هذا؟ أنا ما زلت هنا، يا انتما. بقدر ما أحب أن أبقى وأتحدث معكما، سأترككما لكي تتفقا على أيّ من الغلامين لديه اللعبة الأكبر. سأراك في الداخل، يا ماثيو.

ثم ابتعدت، بخطوات واسعة، مرفوعة الرأس، راجية أن تبقى ركبتاها ثابتتين حتى تصل إلى أمان المطعم.

كان الغضب يسري في كيانها. إنها ليست جائزة لكي تتباهى

بنفسها، وتباً لها إذا انتهت رقماً على قائمة أي رجل.

- هيه... انتظري!

وأمسك ماثيو بذراعها يديرها: «ما سبب هذا كله؟»

نزعت كارا ذراعها من يده: «أنا لست أحد معروضاتك كما تعلم».

فضاقت عيناه: «هل نسيت اتفاقيتنا الصغيرة؟ ربما أنت بحاجة إلى من يذكرك».

وشدها إليه بطريقة أظهرتهما كعاشقين حقيقيين رغم أن تصرفاته كانت آمرة، مستبدة تخلو من أي عطف أو حنان.

استغرق التصفيق البطيء عدة ثوانٍ لكي يخترق عقلها الذي أدارته المشاعر المحمومة.

- هذا عمل جيد وعرض حسن منكما. من المؤسف أنك لم تحضري مكاناً للعرض عندما كنت معي، يا كارا. كان ذلك سيجعل حبنا أكثر مرحاً بكثير.

قبض ماثيو يديه فأحسّت بأنه سيلكم حبيبها السابق على أنفه الشامخ المتغطرس.

وقال ماثيو وغضبه ظاهر في توتر فكه: «إياك أن تتحدث إلى كارا بهذا الشكل مرة أخرى».

لم تعرف ما إذا كان عليها أن تضحك أو تبكي... فقد كان المشهد سخيفاً، أشبه بمشهد في فيلم من الدرجة الثانية. وقالت له: «دعنا نذهب، يا ماثيو».

وأمسكت سترته فنظر إليها بدهشة وكأنه نسي وجودها. ثم قال: «بكل تأكيد، ولكن ما زال هناك شيء واحد».

ونظر إلى ستيف باحتقار: «إبق بعيداً عن طريقي، يا روكويل،

ودع كارا وشأنها».

عند ذلك دار ستيف على عقبيه وابتعد عنهما. فقالت لمائيو برقة هدأت أعصابه: «هل أنت بخير؟»

- نعم، وأنت؟

- هيه، لم أكن من أراد لكمه.

على الأقل، شعر بأن عليه أن يبدي شعوراً بالخجل: «آسف لذلك. لقد تملكني الغضب عندما قال ذلك عنك. إن قبضتي تتحرك، تقريباً، بشكل عفوي».

وجلس، واضعاً رأسه بين يديه وهو يتابع: «تباً لذلك، فأنا ازداد شبهاً بأبي يوماً عن يوم. أتصرّف أولاً، ثم أفكر بعد ذلك».

ظنت كارا أنها لم تسمع جيداً. فقد كان أبوه، جيف بيرد، رجلاً جميلاً؛ قاسياً إنما عادلاً. ومن المؤكد أنه لم يكن يعبّر عن غضبه جسدياً.

سألته، خائفة تقريباً من الجواب: «ماذا قلت؟»

فتوقف بسرعة: «لا شيء. إلى أي حد كانت علاقتك بروكويل؟»

- بقينا نخرج معاً لفترة.

- ما طول تلك الفترة؟

- سنتان.

وبدت هذه الفترة طويلة للغاية حتى بالنسبة إليها.

- سنتان؟ أنت تمزحين. هذه ليست صداقة. إنها زواج.

- كان ذلك منذ سنوات. كنت صغيرة السن.

- هل هذا يعني أنك كبيرة وحكيمة الآن؟

- كبيرة، نعم. حكيمة، لا. فأنا أدّعي أنني حبيبتك لأجل ثلاثين ألف دولار، بينما تواصل معاملتي كسلعة وأنا أتغاضى عن

تصرفاتك التي تشابه تصرفات رجل الكهف. هل ترى في ذلك حكمة؟

لم تفهم التعبير الذي بدا في عينيه. ثم أمسك بيدها قائلاً: «لم أكن أقصد معاملتك هكذا. ولكن فلننسَ كل هذا الليلة. إنني بحاجة إليك لتكوني بجانبي، لا أكثر ولا أقل. هل أنت مسرورة بذلك؟»

فهزت رأسها، متسائلة عما دفعها لكي توقع تلك الاتفاقية: «لا، أنا لست مسرورة. الوضع كله يدعو للسخرية. أنت، وأنا، والاتفاقية، والمال. على كل حال، الاتفاقية هي اتفاقية، وإذا شئت أي عون فأنا هنا لأساعدك».

- وماذا بالنسبة إلى المال؟ هل كنت ستساعدينني إذا لم يكن المال داخلاً في الموضوع؟

ترددت قليلاً ثم قالت: «لا، ربما لن أرضى».

كيف بإمكانها أن تخبره بأن المال هو حقيقة قاسية باردة استعملتها لتبقي هذه الاتفاقية خالية من المشاعر؟

نظرة الكآبة التي بدت في عينيه مسّتها في الصميم، لكنها تلاشت في ثانية لتحل محلها قسوة تخلع القلب. حدث ذلك بسرعة جعلتها تشك بأنها كانت فعلاً موجودة.

- حسناً، على الأقل نحن، الإثنين، صادقان. هل ندخل؟ حان الوقت لكي تبدأي في اكتساب أجرك بجدارة.

عضت شفتها العليا وهي تغالب دموعها. هذه الليلة هي البداية فقط. الحق معه، فقد اشترى صحبتها وقد حان الوقت لكي تدفع.

* * *

قالت بمرح: «كنت أعلم أننا سنتجه لليلة».

- هذا يتوقف على تعريفك للنجاح.

قال ماثيو هذا بغضب لكنه لم يهتم. فقد كان النجاح أبعد ما يكون عن ذهنه عندما حدّقت إليه بهذا الشكل، بعينيها الواسعتين البريئتين. كان يريد أن ينهي ما كانا ابتدأاه. كانت تلك السهرة وأحداثها مجرد تمهيد يغريه بالأماني، أتراه يريد أن يستمر حتى النهاية المثيرة؟

- حسناً، ألا يبدو أن زملاءك قد تقبّلوني وربحت أنت المعلومات التي كنت تريدها؟

سألته وهي تنظر إليه بعينيها الساحرتين فلم يستطع التفكير بشكل مستقيم. كل ما استطاعه هو الشعور فقط، وهذا، بالضبط، ما لم يكن يريده، أو يحتاجه. فهذا كان مجرد صفقة عمل مادي بسيط، كانت خطته تتمحور حول الصحبة، وتركيز الاهتمام على هدفه، والاحتفاظ بهدوئه.

- أتحبين أن تأتي معي في رحلة بحرية صباح غد؟

هيه؟ أيظن أن هذا سيجعل الأمور هادئة؟ وهو مع أكثر نساء العالم حرارة وعلى يخت منعزل؟

هبط قلبه عندما أشرق وجهها: «هذا يسعدني. أتذكر ذلك الصيف عندما انقلب بي في البحيرة قاربك الذي كنت صنعته بيدك؟»

قهقه بصوت هادئ: «نعم، أتذكر. كان ذلك القارب مثالاً للذكاء بالنسبة إلى ما يتعلق بالبحار».

- خدعت بعبقريتك الزائفة، حينذاك، وقد استغرق جفاف قميصي الأبيض الجديد ساعات.

- بالضبط.

رأى عينيها تشعان غبطةً، بينما احمرّ خداها الناعمان. رباه، كان سحرها لا يصدّق.

- تعالي نخرج من هنا.

وأمسك بيدها وهما يودعان زملاءه في العمل، وقد ملأه زهو غريب. كانت رائعة هذه الليلة، حتى كادت تقنعه بأنها عاشقة. فقط لو أنها وافقت على أن تكون حبيبته دون نقود. كان بإمكانها أن تطلب أي ثمن آخر، عدا المال اللعين. الساعيات خلف الذهب لسن الطراز الذي يحبه.

- هل يمكنني أن أسألك شيئاً؟

- بكل تأكيد.

وفتح لها باب السيارة محاولاً أن لا ينظر إلى عينيها. كان قد رأى كيف يؤثر فيه سحرهما. كان ذلك رائعاً، وكان يعلم أن نظرة أخرى إليهما ستدفعه إلى القيام بعمل أحمق. كل ما كان يريده هو ترتيبات عمل بسيطة، فمن أين جاءت هذه الدعوة منه لها إلى رحلة بحرية؟

- لماذا كنت متلهفاً إلى هذه الصحبة بهذا الشكل؟

فأجاب وهو يشعل المحرك: «أريد أن أثبت أشياء كثيرة لأناس كثيرين».

لم يشأ أن يتحدث عن هذا الأمر، ليس هنا وليس الآن. وكان يرجو أن يمنعها جوابه المختصر من إلقاء مزيد من الأسئلة.

- وهل أبوك من ضمن هؤلاء الناس؟

- نعم.

وفتح الراديو فتدفقت الأنغام تملأ السيارة تخفف عنه كالعادة.

عادت تقول: «أنا أحب أباك. دوماً كنت أراه رجلاً عادلاً».

- عادل؟ لا بد أنك تمزحين. حاولي أن تطلبي منه شيئاً، تجديه صلباً قاسياً قصير النظر، إلا فيما يتعلق بزوجاته، طبعاً، إنه

معهن خانع مستسلم.

- هل تفتقد أمك؟

فابتلع مرارته: «نعم، يمكنك أن تقولي ذلك».

- هل تلوم أباك لما حدث لها؟

فقال بحدة وقد فرغ صبره: «ماذا تظنين؟ لماذا هذه الأسئلة على كل حال؟»

سكتت، ثم قالت بصوت منخفض: «مضى وقت طويل على ذلك، كل ما أريده هو العودة إلى معرفة ما حصل لأعرف ما جعلك تلومه».

- لا تضيّعي وقتك. إننا في عمل. هل نسيت؟

إذا أخذ يكرر ذلك مرات كثيرة، قد يحوّل هذا ذهنه عن خضرة عينيها وشذا عطرها الذي أفعم حواسه طوال المساء.

- وكيف أستطيع أن أنسى؟

لاحظ أثراً من حزن في صوتها. وتابع: «بالنسبة إلى الغد...».

- آسفة، يا ماثيو، لا أستطيع الذهاب. نسيت أن آل نورمانبي يريدونني أن أعود لإكمال العمل.

فتنفس الصعداء: «هل تبقى الدعوة مفتوحة؟»

- بكل تأكيد. لماذا لا ترسل إليّ نسخة من المواعيد التي تريدني أن أحضرها أثناء الأسابيع القليلة التالية، فأنقلها إلى مفكرتي؟

- هذا حسن، تعجبني المرأة المنظّمة.

- المرأة تعجبك لفترة معينة.

استدار ليواجهها وهو يوقف سيارته أمام بيتها: «لماذا تقولين هذا؟»

لم يستطع أن يفهم التعبير الذي بدا في عينيها في ضوء الشارع الضعيف: «آسفة. لابد أنني متعبة. تصبح على خير. دعني أعرف جدول أعمالك».

مال نحوها، منجذباً بقوة غير مفهومة: «تصبحين على خير، يا كارا. أحلاماً سعيدة».

كان شبه متأكد من أنها تمتمت وهي تنزل من السيارة، بقولها: «لا أعتقد أنها ستكون سعيدة».

أخذ ينظر إليها وهي تسير في طريق المنزل المرصوف دون الالتفات إلى الخلف. كان يريدها أن تلتفت، وتملكته خيبة أمل عندما لم تفعل. تحرك بالسيارة مبتعداً، مستعداً لليلة أرقة أخرى، وقد امتلأت أحلامه بصورتها.

* * *

تخلت كارا عن محاولتها التظاهر بالنوم في السادسة صباحاً، فنزلت من السرير وهي تفرك عينيها. يبدو أن اللعبة مع ماثيو ستصبح أصعب مما كانت تتوقع. كانت الليلة الماضية محيّرة... فقد أمسك يدها، ومنحها ابتسامات حميمة وغازلها طوال الأمسيّة. كانت تلك الساعات الثلاث سحريّة وهي تفكر كيف سيكون الأمر لو أنها حبيبة ماثيو حقاً.

كانت معززة آمنة طوال السهرة. عندما يهتم ماثيو بامرأة، تشعر وكأنه انتشلها واحتضنها في مملكته الأسرة بكل دفء وحنان. لقد سمحت لنفسها بأن تنسى من هي أثناء تلك الساعات القليلة الغالية فاستمتعت بذلك الاهتمام.

كانت استجابتها لدعوته لتلك الرحلة البحرية انعكاس لشعورها هذا. رباه، إنها تعشق قضاء يوم في يخت منعزل مع رجل أحلامها.

وعلى كل حال، فقد عادت إلى الواقع وهي في طريق العودة إلى بيتها، فلفقت تلك الكذبة عن موعدها مع أحد زبائنها لتكون عذراً يمنعها من الذهاب. من المحزن أنه أبدى نفس لهفتها للتخلص من ذلك الموعد. ولكن، ما الذي جعله يوجه إليها تلك الدعوة منذ البداية؟ إن وضعهما يصبح أكثر تعقيداً دقيقة بعد أخرى.

بعد «دوش» منعش وفطور سريع، استلقت على الأريكة وأخذت تتصفح صحف نهاية الأسبوع. وما أن وصلت إلى الصفحة الثالثة إذا بجرس الباب يدق. وفتحت الباب وقلبها يخفق توقعاً.

- إنها مفاجأة، يا حبيبتي! هل لديك وقت «للصبحية»؟

ودخلت سالي من الباب وفي أثرها دفقة من رائحة عطر الورد، عطرها المميّز.

دوماً كانت كارا تسرّ لرؤية سالي. وعلى كل حال، لا تنكر الآن أنها تمنت أن يكون الزائر محامياً فارع القامة رائع الوسامة ذا عينين زرقاوين متألقتين.

- بالتأكيد، يا سالي. هل قلت لك مرة (لا) بالنسبة إلى زياراتك لي آخر الأسبوع سيما عندما تحضرين معك دوماً «كرواسون» لشاي «الصبحية»؟ اجلسي وسأضع الإبريق على النار.

- هل رأيت الصحف هذا الصباح؟

- ابتدأت قراءتها لتوّي. لماذا؟

- لا شيء. هل قمت بشيء الليلة الماضية؟

- تناولت العشاء في الخارج. لا شيء بالغ الأهمية.

شخرت سالي ساخرة: «كأن بإمكانك أن تخدعيني».

- عفواً؟

- لا شيء، يا عزيزتي. لماذا لا تحضرين الشاي والكرواسون

إلى هنا فنقرأها معاً؟

سالي تهدف إلى شيء ما... إن كارا تعرف ذلك من تلك الغمزة في عينها. إنها نفس النظرة التي كانت سالي ألقتها عليها تلك الليلة، بعد أن اختارها ماثيو لتصبح صديقته.

- كما تشائين. هذه هي الكرواسون.

ونظرت إلى الصحيفة من فوق كتف سالي فكاد الإناء يسقط من يدها.

- أنظري إلى هذه الصورة. ألا تمثلك أنت وماثيو في صفحة أقاويل الناس؟

ولم يخدع مظهرة البراءة في عيني سالي، كارا لحظة واحدة.

- أريني.

واختطفت الصحيفة من يدها. كان هناك صورة ملوّنة تمثلهما معاً أثناء عشاء الليلة الماضية، تغطي الصفحة العاشرة. وكأن هذه لم تكن سيئة بما يكفي، فإذا بالمقالة المرافقة لها تتحدث بحماسة بالغة عن آخر صديقات ماثيو البارعات الجمال، ومقدار السعادة البادية عليهما.

- عظيم، عظيم جداً.

وقذفت الصحيفة إلى المنضدة، وجلست.

- ماذا حدث، يا عزيزتي؟ إذا أدركني مصور وأنا أبدو مع رجل كماثيو، فهذا، يسرّني.

رأت الاضطراب في عيني سالي. كيف يمكنها أن تشرح مشاعرها دون أن تخيّب أمل المرأة التي أحبتها وساعدتها طوال هذه السنوات؟

- كل ما في الأمر هو أنني لا أحب الدعاية والظهور، يا سالي.

هذا إلى أنهم ماذا يعلمون عن صداقتي لماثيو؟ إنهم لم يسألونا... لقد ألّفوا فقط ما يريدونه.

ربتت سالي على يدها: «يسرّني أن أسمع أنكما عدتما صديقين مرة أخرى. ظننت أن الإسراع في الخروج معاً قد يقرّب بينكما. لطالما اعتبرت أن فقدان الاتصال بينكما هو شيء مؤسف للغاية، خصوصاً بعدما كتتما عليه من تقارب».

لم تكن كارا أخبرتها قط عن سبب ضعف صداقتها لماثيو. ذلك أن سالي لم تسألها، رغم أنها كانت تنظر إليها باستغراب كلما تجنبت كارا الحديث عن أسرة بيرن.

- هل كان لقاؤنا معاً هو أمر منظّم سابقاً، يا سالي؟

عادت الغمزة إلى عين سالي: «كلا، طبعاً. أنتما اختلفتما بعضكما البعض، وإلا كيف أمكنني أن أكمل أوراقكما؟ كان الأمر بالنسبة إليّ أشبه بالقدر».

غضنت كارا أنفها: «بالنسبة إليّ، القدر مجرد ثلاثة أحرف. وأنا أكرهه. لقد قلب حياتي رأساً على عقب».

وقفت سالي وتقدمت إليها تحتضنها: «أمضيت مدة طويلة وحيدة. وفتاة جميلة مثلك بحاجة إلى شاب حسن في حياتها وقد رأيت أن ماثيو بيرن هو رجل كفؤ. فما الضرر في خروجك معه؟»

يا ليتها تعلم!

- فقط لا تجعلي آمالك تخدعك. إننا نخرج معاً، لفترة، بصفتنا صديقين، لا أكثر. عليك أن ترجأي التفكير في ذلك الزواج إلى فترة لاحقة. اتفقنا؟

قرصت سالي خدها: «فات الأوان على التأجيل يا عزيزتي. الأفاويل منتشرة في كل مكان، فلا تنتظري طويلاً قبل تحديد موعد

الزواج. هل لك أن تفعلي هذا؟»

فضربتها بالجريدة: «ابتعدي عني ودعيني لشأني، أيتها العجوز التي لا يمكن إصلاحها».

- أنا أحبك أيضاً، يا حبيبتي. سأتصل بك قريباً.

ولوّحت لها بيدها وهي تخرج من الباب وبيدها كرواسونة.

بسطت كارا الصحيفة على الطاولة. تباً لذلك، فقد كانت صورة ماثيو جيدة. إنه يبدو وسيماً في الصورة كما لو كان حقيقياً. كيف يمكنها أن تدفعه عن تفكيرها وهي تراه في كل مكان؟

هي أيضاً لم تكن تبدو سيئة الشكل، والحمد لله. لو رأتها سيدني بأجمعها ستراها لائقة. بدا الإثنان سعيدين وماثيو يبتسم لها بحب، بينما هي تحدق إليه كعاشقة ولهة.

أيمكنهما أن يستعيدا صداقتهما؟ ربما، ولكن هل سترضيها مجرد الصداقة؟ ألم يكن ذلك أحد الأسباب التي جعلتها تقاطعه متعمّدة بعد إهانته لها بدفعها عنه؟ كانت تريد الكثير من الرجل الذي كانت وقعت في غرامه. ولكن ما الفائدة من إحياء مشاعر قديمة الأفضل أن تبقى منسيّة؟

وعندما أخذت تحدّق في الصورة، أدركت أنها تخدع نفسها. لم تكن مشاعرها نحوه منسيّة وإنما مدفونة فقط. ولسوء الحظ، إيقاظها بشيء من التشجيع والظهور بصفتها حبيبته قد يسبب ردة فعل مشؤومة سيئة العاقبة.

تمتمت وهي تطوي الصحيفة لتخفي ابتسامته: «لم أعد أحبه». لكن ابتسامته كانت مطبوعة في ذهنها. وتمنت لو بإمكانها أن تطوي مشاعرها وتبعدها عنها، بهذه السهولة.

٧ - رحلة عشق بحرية

كان يوماً صيفياً رائعاً. والسماء الصافية تشكل الستارة الخلفية الجميلة لدار الأوبرا. ومراكب «مرياد» متناثرة في «مرفأ سيدني»، بينما الناس ينتهزون فرصة حالة الجو المثالية للرحلات البحرية. ومالت كارا إلى الخلف ورفعت وجهها نحو الشمس تستمتع بأشعتها.

- أرجو أنك تضعين واقياً من الشمس.

انتصبت واقفة وأخذت تحدق إلى ماثيو وراء المقود: «طبعاً، أنت تعلم أنني لست غبية».

فقال مداعباً: «ربما تخدعينني».

ابتسمت، وقد حيّرها إلى أي حد وصلت بهما الإلفة في هذا الوقت القصير. كانت، منذ شهرين، تقطع رأسه لملاحظة كهذه. فقد كانت حينذاك، في موقف المدافع. أما الآن، بعد كثير من العشاءات المتعلقة بالعمل، والثرثرة أثناء القهوة، فقد تركت الحذر. وكانت مستمتعة بذلك.

- وهكذا، إلى أين ستأخذني، يا كابتن؟

رفع قبعته بتحية ساخرة: «إلى أي مكان يعجب السيدة».

أحست بنوع من التوقع والمركب يبحر بهما تحت الجسر، فسألته: «لماذا لا تفاجئني بشيء مثير؟»

- أظن أن هذا ما سأفعله.

رفع من سرعة المحرك فانطلق بهما المركب وجسمها يتلقى، بانتعاش، رشاش ماء البحر. لم تتكلم، مكتفية بالنظر إليه وهو يسير بالمركب بكفاءة الخبير. كان يبدو مذهلاً بالشورت الأبيض والقميص الكحلي، وساقاه اللتان لوحتهما الشمس تسندان جسده وهو يسرع بالمركب. وتملكها الإعجاب بعضلاته التي كانت تتحكم بالمقود. كان رجل كل الفصول، يبدو في ملابس قيادة المركب بنفس الروعة التي يبدو بها في البذلة الأنيقة. لم تستطع الصبر حتى إرساء المركب.

قاد المركب إلى قناة قريبة ثم أوقف المحرك. اكتنفهما الصمت عندما أخذت تنظر حولها. كانت أشجار الأوكاليبتوس المهيبة تحيط بالشاطئ الرملي. أوراقها الخضراء تختلف لوناً عن لون المحيط الأزرق بشكل كلي. كانت تعشق الروافد المتفرعة من مرفأ سيدني التي تشكّل ملاذاً أكثر أمناً يبعدها عن التيارات المائية الخطرة.

- إذاً، ما رأيك؟

حوّلت نظراتها بسرعة راجية أن لا يرى الحنين في عينيها. دوماً تقول سالي إنها كتاب مفتوح. وسألت الله أن لا يحاول ماثيو أن يقرأ كتابها.

ناولها كوب عصير منعش: «خذي. هذا سيزيل التوتر. وتحياتي إلى حبيبتي المذهلة».

وكانت ابتسامته حميمة دافئة. صبغت الحرارة وجنتيها. يا ليتها حبيبته حقاً وهذا النهار ليس جزءاً من اللعبة!

وأخذت ترشف العصير وبرودته تنعشها وهي تنزلق من خلال حلقها الجاف.

- لماذا دعوتني إلى هنا؟

ها قد نطقت بهذا السؤال الذي شغل بالها طوال الأسبوع.

سكت لحظة ثم قال: «لأنني أحب صحبتك، وفكرت في أنك قد تحبين قضاء نهار في المرفأ».

- ولكن لا يوجد أحد حولنا، فهذا لا يمكن أن يكون جزءاً من الاتفاقية.

بعد فوات الأوان، أدركت أنها تكلمت بصوت مرتفع. وشتم هو بصوت منخفض: «دعينا ننسى هذه الاتفاقية اللعينة لهذا اليوم. إنه يوم رائع، ونحن صديقان قديمان نستمتع بصحبة بعضنا البعض. لماذا لا تتركين الأمر عند هذا الحد؟»

هزت كتفيها، رغم أن ضميرها كان مستريحاً، إلا أن نزهات كثيرة معه دون عذر مبرر من اتفاقيتهما، ستكون ضارة بسعادتها.

- إذا كان هذا رأيك.

- هذا حسن. والآن، أصبح الموضوع منتهياً... فلنأكل إذن.

نظرت إليه وهو يفتح أكياساً من مختلف أنواع الطعام اللذيذة ويضعها على ظهر المركب. وعندما انحنى على سلة النزهة، أدركت مبلغ جوعها... ولم يكن ذلك للطعام.

- أرجو أن تكوني جائعة.

والتفت إليها بسرعة، فخفضت بصرها بسرعة قياسية، ولكن السرعة لم تكن كافية، فقد بدت على وجهه ابتسامة عريضة شيطانية: «هل رأيت شيئاً تحبينه؟»

مدّت يدها إلى أقرب طبق: «نعم. الكعك الحلو يبدو جيداً».

مضت لحظة ذهول قبل أن ينفجر ضاحكاً، وشاركه الضحك طائر القاوند الضحاك الذي كان قريباً منه، وذلك بضحكة عالية خشنة متنافرة النغمات.

لاحت ابتسامة على زاويتي فمها وهي ترفع يدها: «هذا يكفي. حان وقت تناول الطعام، أيها الرجل المضحك».

- هذا حسن، هل لك أن تناوليني طبق الكعك الحلو هذا... أعني الخبز، من فضلك؟

تجاهلت تكلّفه الإبتسام وهي تملأ له طبقاً من أنواع الطعام اللذيذة مثل الدجاج المشوي والسلمون المدخّن، والبندورة المجففة في الشمس، والجبن الأبيض. هذه الأنواع كانت مما تفضّله... وتساءلت إذا كان تذكّر ذلك وهو يشتريها. إذا كانت الحلوى هي فطيرة الليمون والبيض والسكر، ستعرف أنه تذكّر.

تناولا الطعام بصمت، رغم أنها كانت واعية إلى كل نظرة، وكل إشارة وكل لقمة دخلت فمه.

سألها وهو يجمع الأطباق الفارغة: «أما زلت جائعة؟».

فأجابت وهي تربّت على معدتها: «لا، فقد كان الطعام لذيذاً».

- وماذا بالنسبة إلى الحلوى؟ إنه ما تفضلينه.

إنه يتذكر إذن! وبعد كل تلك السنوات: «شكراً لعملك هذا كلّه. كان الغداء رائعاً».

ولم تضف أنه هو كان رائعاً، رغم رغبتها بذلك.

جلس بجانبها، مرهفاً حواسها. كانت تفوح منه رائحة حلوة هي مزيج من محلول بعد الحلاقة والشمس وهواء البحر النقي. تنفست بعمق، طابعة هذه الرائحة في ذهنها. كلما مرت بهذا المرفأ في المستقبل، ستتذكر هذا اليوم، وهذا الرجل.

- ثمة فتات من الخبز هناك.

وأمسك بذقنها ومسح زاوية فمها بإبهامه.

لمسته الخفيفة للغاية أرسلت في كيانها رجفة، فصدرت من بين

شفتيها آهة لا إرادية.

أظلمت عيناه: «هيه... أنا لست قديساً. إذا لم تتوقفي عن إصدار أصوات كهذه، سأقوم بشيء ربما يجعلك تندمين».

أجابته بأن مالت عليه ومدّت يديها، أتراه هواء البحر أثر فيها قليلاً؟ مرّت بذهنها هذه الفكرة وهو يخفض رأسه يصدّ بهذا ضوء الشمس.

- أشكرك فعلاً للغداء الرائع.

- أنت جميلة جداً.

وأخذ ينظر إليها... إلى وجهها المتوهج، وشفتيها المتورمتين قليلاً، وعينيها الخضراوين اللامعتين. كان متلهفاً إليها منذ وقت طويل ولم يعد يشك في هذا الآن.

- ما الذي نفعله، يا ماثيو؟

سؤالها غير الواثق كان يناقضه نظراتها اللتان كانتا تقومان بالأعاجيب. لم يستطع أن يفكر بشكل صحيح. إذا هي استمرت في ذلك، سينتهي كل شيء قبل أن يبدأ. فابتعد عنها بخفة، وردّ عليها مائلاً: «هذا يبدو واضحاً لي تماماً، يا حبيبتي».

فجمدت يداها: «لا أريد أن تكون العلاقة بيننا مجرد صفقة عمل».

- ماذا تريدين أن تكون؟

لامس خدها بإصبعه، معجباً بنعومته: «هيا، قولي لي!»

كانت محيّرة ببشرتها الناعمة ونظراتها الثاقبة. إنه ما زال يتذكر تلك النظرات القاتلة. ما زال يتذكر صورتها تلك من تلك السنوات الطويلة... فقد احتلت مخيلته منذ ذلك الحين.

حدقت إليه مباشرة: «لا أدري ما أريدها أن تكون. لا أريد أن

أكون مجرد غزوة أخرى لك. ذلك سيجعل افتراقي عنك، في النهاية، صعباً للغاية».

ودست يدها في شعرها الذهبي الذي كان يتألق في أشعة الشمس.

تملكته المرارة بسرعة، وشعر وكأن دلواً من الماء المثلج ينسكب فوقه، فأسقط يديه: «ومن قال إنك ستفارقينني في النهاية؟»

فانتصبت في جلستها: «نحن الإثنين، نعلم أن هذا لن ينتهي إلى شيء. الاتفاقية ستنتهي بعد أقل من أربعة أشهر، وأنت ستعود، سعيداً، إلى طراز حياتك الأول. وإذ كنت لا أريد علاقة عابرة، دعنا نستمر في هذه الاتفاقية ونبقيها في هذه الحدود».

كان صوتها مرتفعاً وكلماتها تخترقه إلى الأعماق.

- دوماً تعودين إلى تلك الاتفاقية اللعينة. أليس كذلك؟ هل المال مهم إلى هذا الحد بالنسبة إليك؟

تعمد أن يبقي صوته منخفضاً. كان متأكداً من أنه رأى لمعان الدموع في عينيها قبل أن تشيح بوجهها.

- نعم، إنه كذلك.

ألمته هذه الكلمات الثلاث. إنها قصيرة، حادة، عميقة. إنها، قطعاً، لم تتكلم بصراحة أو خشونة وقد تقبّلها بصعوبة. وهزّ رأسه، محاولاً أن يفكر بوضوح.

- أريد أن أسبح قليلاً.

ونزع ثيابه بسرعة وغطس في الماء، ثم سبح نحو الشاطئ.

أخذت كارا تنظر إليه وهو يبتعد عن المركب، ثم سمحت للدموع بأن تنهمر من عينيها، متمنية لو أنها لم تبدأ بالتحقيق معه. رباه، يا لها من مشكلة! لقد أدركت فجأة أن ماثيو يريدها وأن

مشاعره نحوها تماثل مشاعرها نحوه. إنه، بعد تلك الحميمة التي أظهرها لها في أول «موعد» لهما والتي رآها ستيف، لم يعد يظهر لها مشاعره. كان يمنحها نظرات مودّة خاطفة أمام زملائه وفي نهاية مواعيدهما، وهذا كل شيء.

وهذا لا يعني أنها هي من تغيرت معه اليوم. لابد أن السبب هو الشمس. لقد أصيبت بضربة شمس.

اتكأت على الدرابزين، وأخذت تراقبه وهو يسبح بعيداً. كانت تعلم أن الضربة الوحيدة التي أصيبت بها أوقدها فيها ماثيو. كما أن الحرارة سرت الآن في جسدها لمجرد التفكير فيه.

إنها، على الأقل، كانت صادقة، جزئياً، معه. لم تشأ أن تصبح مجرد امرأة أخرى على قائمة معجباته. إنها تريد أكثر من ذلك. تريد كل شيء. تريد أن تسمعه يقول إن الاتفاقية قد انتهت، وانه يريدها إلى حد يرغب معه أن تكون حبيبة حقيقية له. وليست مجرد غزوة أخرى له.

وعلى كل حال، إنه لم يقل أياً من هذه الأشياء، إنها تعلم أنه يعشق النساء، وأنها، بالنسبة إليه، مجرد امرأة، وهذا كل شيء. لكنها امرأة صارحته بأنها مفتونة به. لماذا لم ينتهز فرصة كهذه؟ الحمد لله أنها عادت إلى عقلها وأثارت موضوع الاتفاقية.

إنها، مرة أخرى، استعملت المال سداً واقعياً إزاء تحطم القلب. ما دام يظنها تقوم بذلك لأجل المال فقط، ستكون آمنة. بإمكانها مواجهة الأمر إذا كان ماثيو مجرد صديق، أما إذا كان عشيقاً، شخصاً تحبه، فليس بإمكانها ذلك. رباه... ما زال أمامها أربعة أشهر لإنهاء الاتفاقية.

* * *

لا بأس، فالنزهة البحرية لم تكن من مشاريع ماثيو الجيدة. إنه لا يدري أي شيطان تملكه ليجعله يدعو أكثر النساء جمالاً لقضاء يوم معه على يخته. غريب، منذ أول موعد عشاء لهما، أراد أن يكونا وحدهما على اليخت حتى أنه دعاها لنزهة بحرية معه حينذاك، رغم أنها، والحمد لله، اعتذرت لعدم الذهاب.

لكنه عاد، ففعل ذلك بعد شهرين. كان يعلم أنه لن يستطيع أن يبتعد عنها، ومع ذلك دعاها. كان صعباً عليه بما يكفي ليمثل دور الرجل المهذب أثناء مواعيدهما القليلة. ولو أنهما لا يكونان عادة، محاطين بزملائه، لأظهر لها حقيقة مشاعره منذ وقت طويل. ماذا يتوقع أن يحدث له عندما يختلي، على يخته، مع امرأة مذهلة مثل كارا؟

استعاد مظهر تلك النظرة التي ألقتها عليه، في ذهنه، مرة بعد مرة... تلك النظرة التي تتوسل إليه بها، أن يبقى معها ويحميها. وقد شعر بأنه في الفردوس وهو يتأمل عينيها الخضراوين وشعرها اللامع. كان يتصوّر ذلك مرة بعد مرة، متخيلاً شعوره وهي تعترف له بحبها فيكاد يجن.

نقر على مكتبه محبطاً. تباً لهذه الاتفاقية الغبية! لو أنها ليست لأجل المال، لطوّر مشاعره نحو كارا. وعلى كل حال، باحث واحد عن الذهب في الأسرة هو أكثر من الكفاية. إن لورنا، آخر زوجات أبيه، خير مثال لذلك. وليساعده الله إذا كانت كارا مثلها.

تقبضت يداه، شاعراً برغبة في الخنق. ولسوء الحظ، الوحيد الذي يريد أن يتشبث به حالياً، هو أبوه، فيحكم قبضته حول عنقه. لولا شرط أبيه السخيف لكي يجعله شريكه، لما اخترع هو هذه الاتفاقية منذ البداية.

ولما كنت التقيت بكارا مرة أخرى... وتأوه لهذه الفكرة وهو يعبث بالعقود على المكتب. دوماً هناك سيف ذو حدين. اتفاقياته العملية خير شاهد على ذلك. كانت وظيفته هي أن يجعل الإتفاقيات واضحة بالنسبة إلى عملائه، فلماذا لا يفعل نفس الشيء بالنسبة إلى حياته الخاصة؟

واخترق تأملاته نقر على الباب.

- أدخل.

- لا أدري إذا كان لديك دقيقة، يا ماثيو.

ودخل أبوه المكتب. وتملك ماثيو الرجاء في أن يبدو كأبيه، عندما يبلغ هو الثامنة والخمسين مثله، بشعره الكث ووجهه غير المغضن، وحيويته التي تنوهج من عينيه الزرقاوين. لا عجب في افتتان النساء به. وتساءل عما إذا كانت أمه ترى نظراتهن المفتتنة إليه. أترى ذلك أحد الأسباب التي جعلتها تهرب من بيته؟

- بكل تأكيد. كيف تريد أن أخدمك؟

كان يكره حقيقة أنه لم يكن يستطيع أن ينادي أباه «بابا» في المكتب. وكان يتمنى أيضاً لو أن أباه يناديه يا «ولدي» ولو مرة واحدة بدلاً من ماثيو.

- ستقيم الشركة رحلة لعطلة أسبوعية مشتركة وذلك خلال أسبوعين. وهكذا يمكنك أن تستمتع مع كارا برحلة طويلة معاً.

أووه... وتنحنح ماثيو: «سأرى ما يمكنني أن أفعل. كارا امرأة مشغولة. إن لديها عملاً خاصاً بها، كما تعلم، وقد لا يكون لديها فراغ».

هز أبوه يده في الهواء وكأنه ساحر: «كلام فارغ. كارا امرأة جميلة. ومعرفتك بها شيء جميل، يا ولدي. وأنا واثق من أنها

ستأتي معنا. سمعت أن عملها غير ناجح تماماً، ولهذا ربما سيكون لديها وقت فراغ. هل من الممكن أن تنصحها؟».

لم يستطع ماثيو أن يتكلم. لقد ناداه أبوه بكلمة «ولدي»... ثم ما الذي قاله أبوه عن عمل كارا؟ وهل ذلك هو سبب حاجتها إلى المال؟

- على كل حال، سأرسل إليك التفاصيل بالإنترنيت. لا تنس أن تبلغ كارا تحياتي.

وتوقف أبوه قليلاً عند الباب ليقول: «أنا فخور بك يا ولدي».

لم يكن ماثيو يتصوّر ذلك. لقد ناداه أبوه يا ولدي مرة أخرى. واستند إلى الخلف في كرسيه وزفر من أعماقه. لقد انتظر طويلاً ليسمع هذه الكلمات من أبيه، فلماذا يشعر، إذن، وكأن هذا نصر فارغ؟ إنه يكره أن يخدع أباه، لكن تلك الاتفاقية كانت الشيء الوحيد الذي سيجعل أباه ينظر إليه بجد. إذا دلّ هذا النهار على شيء، فعلى أنه نجح في خطته هذه، ولكن بأي ثمن؟ ولمن؟ فكلما أسرع في إصلاح هذا الوضع الفوضوي، كان ذلك أفضل. إن أباه يستحق شيئاً أفضل، وكذلك كارا.

ولكن ماذا بالنسبة إلى المال؟ ولماذا عملها غير ناجح؟ أتراها تستغله فقط، كالباقيات؟

أخذ يعبث بقلمه، بذهن شارد. حدق إلى روزنامته، أسبوعان؟ هيه؟ وصمم على أن يتحدث عن الاتفاقية معها أثناء رحلة العطلة الأسبوعية تلك. إذا كان المال بتلك الأهمية بالنسبة إليها، سيعطيها إياه. إنه يريد أن تكون علاقتهما حرة. لا مزيد من الاتفاقيات.

وماذا إذا لم ترغب فيه دون المال؟ وانقبض قلبه لهذه الفكرة رغم كل ما حدث بينهما. فقد أوضحت له منذ البداية أنها لا تريد

علاقة معه. هل من المحتمل أن تكون فعلت كل ذلك لأجل المال؟ وقرر أن هناك سبيلاً واحداً لمعرفة ذلك. ومدّ يده إلى التليفون، ولكن قبل أن تصل إليه، تصاعد رنينه... فتناول السماعة:

- ماثيو بيرن يتكلم.

- بيرن... أيها الصديق المحتال، كيف تنقطع عني، وما كل هذا الحديث عن أنك ستحضر كارا الشقراء إلى رحلة نهاية الأسبوع؟

- ماذا تريد يا ساوندرز؟ أنا مشغول.

منذ أسابيع لم يتصل بأفضل أصدقائه لوك ساوندرز، وذلك رغم كونهما يعملان في نفس الشركة القانونية. لكن تخصص لوك في الجرائم يجعل لقاءهما هذه الأيام نادراً للغاية.

- أراهن على أنك مشغول جداً! ويبدو أنها تشغلك أكثر مما ينبغي...

وسكت زميله بضحكة مكبوتة.

- كنت أعمل ساعات طويلة في بعض قضايا حقوق النشر والتأليف. ثم، نعم، إنني أقابل كارا، وهذا لا يعني أنه من شأنك.

فقهقه لوك: «هل لمس هذا منك وتراً حساساً؟ ليس من عادتك أن تكون جاداً تماماً بالنسبة إلى امرأة. ما الأمر؟»

تمنى لو بإمكانه أن يفضي بسره إلى صديقه. ولكن صديقه هذا، لسوء الحظ، لم يكن جيد الرأي: «ألا يمكن للفهد أن يغيّر بقع جلده؟ لأنني أميل إلى كارا كثيراً».

فشخر لوك ساخراً: «أنت؟ تغيّر بقع جلدك؟ عليك أن تغيّر جنسك بين الأحياء، أولاً. أتريد أن تخبرني بأن عهد احتفالاتنا الصاخبة قد انتهى؟»

- ها قد فهمت، أصبحت الآن وحدك.

- ولكن ألا يمكن أن أغريك بأمثال ستيفاني أو آلانا؟ أنسيت أيامنا القديمة الجميلة؟

- أنا حقاً أريد أن أعود إلى عملي. ما رأيك في أن نتقابل بعد العمل؟

فتنهد لوك: «لا بأس في ذلك».

فضحك ماثيو: «فكر في الأمر فقط. أتمنى لك المزيد من السيدات، يا صديقي».

- مهما كان...

- أراك في «لوكال» حوالي السابعة. إلى اللقاء.

أخذ يحدق إلى التليفون، متسائلاً عما إذا كان عليه أن يتصل بكارا. اتصال لوك شتت ذهنه وهو يريد أن يركز ذهنه عندما يدعوها إلى رحلة عطلة نهاية الأسبوع. لم يتكلما معاً كثيراً منذ الذي حدث بينهما على اليخت وأصبح لديه فكرة واضحة عن أن قضاءهما معاً عطلة أسبوعة كاملة، بصفتها حبيبته، لن يروق لها أبداً.

سيخبرها بذلك بلطف. أزهار، شوكولاته، ثم يفاجئها بالأمر. نعم، سيتبع خطة تقليدية للوصول إلى مراده. ماذا بالنسبة إلى دعوة رسمية مطبوعة؟ لا، فهذا حتماً سيجعلها تهرب خوفاً. إنه بحاجة إلى توخي الحذر معها لكي تقبل. ثم قرر أخيراً أن يقابلها شخصياً. التليفون لا يكفي لإتمام أمر هام كهذا. ليس من عادته أن يكون قليل الثقة بنفسه. لقد وترت هذه الاتفاقية الغبية أعصابه، وتمنى لو يعود إلى شخصيته المعتادة مع كارا ويخطب ودّها بشكل صحيح، وليس بشيء من المشاعر المصطنعة التي يمثلها كل منهما. وفجأة، خطرت له الفكرة. لقد كان يمثل دوراً، ليس فقط لمصلحة أبيه بل

لأجل كارا أيضاً. لماذا لا يحاول أن يكون على طبيعته. لقد كانت تميل إليه طوال تلك السنوات. لماذا لا يحاول أن يمارس سحره الذي لطالما شدها، ثم يرى ما سيحدث؟ وما الذي يخسره؟

بيرن، أنت نابغة!

فلماذا يشعر إذن بأنه صبي صغير يقف في زاوية غرفة الصف وعلى رأسه طربوش مكتوب على مقدمته الحرف الأول من كلمة (أبله)؟

٨ - هل تبقى معه؟

غاصت كارا في حوض الماء الدافئ، وتنفست الصعداء. احتوتها سحابة من بخار الماء الفوّاح بعطر اللافندر فساعد ذلك ذهنها على الاسترخاء. أغمضت عينيها، طاردة صور الشموع الخفاقة التي كانت أشعلتها. يا له من أسبوع! الحمد لله أنها تجاهلت دعوة أوليفيا الملحة للخروج معاً هذه الليلة للرقص، وأطاعت حدسها. حمام دافئ، فيلم عاطفي وصحن من الآيس كريم المفضل لديها، هو كل ما تتوق إليه الليلة.

بالحديث عن الاشتياق... مرّت بمخيلتها صورة خاطفة لماثيو محت كل أفكارها المريحة. وكانت استطاعت، طوال الأسبوع، أن تدفعه إلى أبعد زاوية من ذهنها، ملقية بنفسها على عملها. وقد استحسن آل نورمندي عملها إلى حد لا بأس به، حتى المرأة المشاكسة. وعلى كل حال، أثناء اللحظات الهادئة، كالتي تمر بها الآن، كانت صورته تبرز إلى الوجود لتعيدها إلى التشوّش مرة أخرى.

منذ تلك الجلسة الحارة بينهما على اليخت، منذ أسابيع، ازدادت مخيلتها خصوبة، فقد استيقظت من النوم عدة ليالٍ، شعثاء متعبة والعرق يغمرها. كان صعباً عليها ضبط أعصابها بما يكفي حين تتحدث معه تليفونياً، فكيف بإمكانها مواجهته شخصياً هادئة الأعصاب؟

كان، على التليفون، مهذباً منطوياً على نفسه. كانا يتبادلان المزح والمداعبة فقط، ما يجعلها تشعر بأن اتصاله بها هو من باب الالتزام والواجب أكثر منه شوقاً أو رغبة حارة لرؤيتها. فتساءل عما إذا كان يقابل امرأة أخرى، لكنها سرعان ما كانت تنبذ تلك الفكرة. إن حاجته إلى أن يكون شريكاً في شركة والده، أقوى من أن يعرّضها للخطر الآن. وعلى كل حال، ما كان ليستمر في هذه الاتفاقية السخيفة حتى الآن لو أنه غير متلهف إلى نتيجتها. لم يبق سوى ثلاثة أشهر، تكون بعدها حرة...

حرة لتفعل ماذا؟ للعودة إلى التدقيق في صفحات الصحف الاجتماعية باحثة عن نتف من المعلومات عن حياته المثيرة؟ وعن آخر امرأة في حياته؟

إنها بحاجة إلى أن تحصل على حياة حقيقية وبسرعة، وربما ستحتاج إلى التماس العون من سالي.

لابد أن اليأس ابتدأ يتملكني...

تمتمت بذلك وهي تغطس تحت الماء. لكن هذا لم ينفعها، لا شيء يمكنه أن يزيل ما تملكها من كآبة الليلة. شيء واحد فقط يمكنه أن يرفع من معنوياتها، ولكن عليها أن تجفف جسمها ثم تفتح الثلاجة، ثم تحضر ملعقة قبل أن تتمكن من تجربة ذلك. شكراً لله للآيس كريم، أحسن صديق للفتيات.

بعد أن جففت شعرها ارتدت بيجاما مريحة، وتسلحت بكأس تكوّم فيها الآيس كريم، ثم غاصت بين الوسائد الناعمة.

وعندما ضغطت زر التلفزيون، رن جرس الباب.

- تباً للملك.

تمتمت بهذا وهي تتساءل عما إذا كان الأوان فات على إطفاء

الأنوار، مدعية أنها غير موجودة.

وهذا ما كان، فقد عاد الجرس إلى الرنين وبشكل أقوى، وأكثر إلحاحاً.

- أنا قادمة. انتظر قليلاً.

وفتحت الباب جزئياً وجالت ببصرها حوله.

- هل يمكنني أن أدخل؟

كان الأمر أشبه بعودة كابوس. كلما فكرت في ماثيو أكثر من خمس ثوان، إذا به يتجسد أمامها. وها هي الآن، ترتدي هذه البيجاما الفضفاضة... وقالت بلهجة عرجاء:

- آه... كنت مشغولة نوعاً ما، هذه اللحظة...

- أعدك بأن لا أتأخر. أنا بحاجة فقط لأسألك شيئاً.

ذاب قلبها للتعبير الذي بدا على وجهه. كان رقيقاً متوسلاً فيه شيء من ولد ضائع.

- دقيقة واحدة.

أشرق وجهه بابتسامة دافئة: «شكراً».

وحدّق إليها مدة بدت وكأنها الأبدية: «كارا؟ هل ستسمحين لي بالدخول؟»

ضحكت بصوت خافت وهي تتمنى لو أنها ارتدت ثوب نوم حريرياً بدلاً من هذه البيجاما القطنية: «آه، نعم. فقط، كنت أستعد للنوم، كما ترى».

- النوم! في مثل هذه السا...

وسكت في منتصف الجملة، وهي تقفل الباب خلفه، ثم انتشرت على وجهه ابتسامة عريضة.

- إذا صدرت عنك أية ملاحظة ساخرة عن ملابسي، ستخرج من

هنا.

قالت هذا تهدده وهي تجاهد لتكتم ضحكتها. وعندما أخذ يتأملها من فوق إلى تحت وقد استحالت ابتسامته إلى أخرى متكلفة، شهرت الملعقة وكأنها سيف: «أنا أعني ذلك!».

فرفع يديه مستسلماً: «لا تقلقي، لن تسمعي اعتراضاً واحداً مني».

وأخذا يضحكان معاً ثم تبعها إلى غرفة الجلوس.

- أنا مسرور لوجودك في البيت. أريد أن أتحدث معك عن شيء هام.

وأخذ يجول في أنحاء الغرفة ما جعلها تشعر بأنه من الضيق مثلها.

- لا بأس، تفضل بالجلوس، هل تريد عصيراً؟

- لا بأس بالقهوة.

وفتح التلفزيون: «لا شيء أجمل من أفلام الكرتون. أليس كذلك؟».

وضحك بصوت خافت.

فابتسمت: «وماذا تتعلم من أفلام الكرتون؟ ظننتك من أنصار أفلام الحركة؟»

فهز رأسه: «هذا يدل على أنك لا تعرفينني جيداً. أنا أحب الأشياء الصبيانية، لأنني رقيق القلب».

حملت كارا طبق الآيس كريم وتوجهت نحو المطبخ: «أنت؟ رقيق القلب؟ هل تسخر مني؟».

تشاغلت بصنع القهوة، متسائلة عن الصمت الذي تلا ذلك. وعندما عادت إلى غرفة الجلوس، وجدته يتأمل الصور التي على

رف المدفأة.

سألها وهو يشير إلى صورة والديها: «لابد أنك افتقدتهما كثيراً».

- نعم، لا أستطيع أن أصدق أن الحادث مضى عليه كل هذا الوقت.

تقدم وجلس بجانبها على الأريكة، وقال وهو يرشف القهوة:

- ربما ذلك المجنون الذي قتلهما قد أصبح حراً، طليقاً الآن. ذلك أن القانون يصبح سيئاً نتناً عندما يتعلق الأمر بالسائقين السكارى. والحمد لله أنني لست مضطراً للدفاع عنهم أمام المحاكم. إنني لا أستطيع ذلك سواء كان هذا واجبي أم لا.

حدّقت كارا إلى ماثيو من فوق حافة الفنجان، كان يبدو متعباً، والخطوط حول فمه أكثر ظهوراً كما أن ظلالاً بدت تحت عينيه. لكنه ما زال يبدو وسيماً للغاية بالرغم من تعبه البادي.

- ما الذي تريد أن تتحدث عنه؟

ازداد فضولها حين مدّ يده إلى جيبه وأخرج مغلفاً مذهب الحواشي.

- هاك. ربما تحبين هذا.

فتحت المغلف فانزلق في راحتها مفتاح صغير مزخرف. ولم يكن ثمة شيء آخر يفسر الأمر. نظرت إليه فلم تستطع أن تفهم سبب الحدة في نظراته.

- لا بأس، أنا استسلمت. ما معنى كل هذا؟

- أتتذكرين ذلك الصيف حين كنا نتردد على سقيفة المركب ووجدت أنا مفتاح دفتر مذكراتك؟

وكيف تنسى؟ كان ذلك هو الصيف الذي وقعت فيه في غرامه، وكانت مذكراتها تتحدث عن كل مشاعرها الخفية نحوه.

فأجابته بحذر، متسائلة إلى أين يقود هذا: «نعم. أتذكّر».

- إنك تصرفت حينها، بشكل غريب، وطلبت مني أن أعيد إليك المفتاح ففعلت. رغم أنني أردت أن أعلم ما الذي جعلك توبخيني.

فرفعت حاجبيها: «ثم؟»

- عندما تقابلنا في الصالون الأزرق في وكالة سالي، أردت أنت أن تعلمي ما الذي جعلني أحضر إلى هناك. وهذا المفتاح يعطيك فرصة لتعرفي ذلك.

لاحظت نظرة التوقع في وجهه، ولمعان المكر في عينيه. كان يهدف إلى شيء ما. وضعت المفتاح على «الطاولة»، ثم قررت أن تدعوه إلى كشف ما لديه: «أنت غامض جداً بالنسبة إليّ، يا ماثيو بيرن. وقد تخليت عن محاولة فهمك».

مال نحوها فاكتنفتها رائحة رجولته المثيرة: «أتنوين التحدي؟»

لقد عاد مرة أخرى لاستغلال ذكرياتهما لإقناعها. كان يعلم أنها لم تهرب قط أمام التحدي، ولا يمكن أن تشوّه سجلّها الآن.

- لا بأس، قبلت التحدي، أخبرني مفتاح ماذا هذا؟

أمسك بالمفتاح يلوّح به أمامها: «ليس بهذه السرعة، هل لديك فراغ في العطلة الأسبوعية بعد القادمة؟»

- ربما، هذا يتوقف على موّجه الدعوة.

قالت هذا تغيظه وهي تخطف المفتاح من يده ثم تلوّح به بإصبعها.

ضحك بصوت منخفض عميق، تلك الضحكة التي كانت تجذبها دوماً: «حسناً، إذا كان لديك فراغ، ستدعوك الشركة إلى عطلة أسبوعية بعيداً عن المدينة تقيمها سنوياً».

ومدّ يده ليوقف يدها عن الاهتزاز فسقط المفتاح إلى الأريكة

بينهما، متألقاً على الوسائد التبنية اللون. وعندما لمسها، تسارع نبضها وضحلت أنفاسها. كل تخيلات الأسابيع القليلة الماضية تركزت على هذا الرجل، وهذه اللحظة. حاولت أن تجذب يدها منه لكنه لم يتركها، بل شبك أصابعه بأصابعها ضاغطاً على راحتها بإبهامه.

- ماذا عن المفتاح؟

ألقت هذا السؤال وقد تشتت تفكيرها.

- ذلك جزء من الإتفاقية. إذا جئت معي سيكون عليك استعمال المفتاح لتعرفي كل شيء عني.

- لا أريد اتفاقية لمئة أخرى.

تمتمت بذلك دون أن تقوى على سلخ نظراتها عن التحدي الكامن خلف نظراته.

شتم بصوت خافت: «اختيارك للكلمات ضعيف، يا حبيبتي. هذه العطلة الأسبوعية تعني الكثير بالنسبة إليّ. وأرجو أن نتصافى بالنسبة إلى بعض الأمور، ثم نصحح الوضع القائم بيننا».

ولامس خدّها تحيّباً.

لم تستطع أن تتنفس ولم يكن ذلك بسبب لمسته فقط، بل بسبب ما رأته من ضعف ممزوج بسحر صبياني دمّرها كلّياً. وأخيراً استطاعت أن تقول برقة: «سآتي معك».

- هذا عظيم. وأنا متلهف إلى ذلك.

ومنحها ابتسامة عريضة أضاءت الغرفة.

ردّت وهي تميل نحوه بعطف: «وأنا أيضاً».

حدّق إليها لحظة طويلة قبل أن يقف بحركة سريعة: «شكراً للقهوة. سأبلغك بالتفاصيل حالما أحصل عليها».

أطلقت زفرة طويلة، وحاولت أن تتمالك نفسها. لقد ألقت بنفسها عليه مرة أخرى. لقد أصبحت هذه عادة عليها أن تتخلص منها إذا شاءت أن تبقى لها قواها العقلية. عليها فقط أن تضبط نفسها.

انحنت تلتقط المفتاح: «شكراً لهذه الدعوة. إنني متشوقة إلى استعمال هذا المفتاح. الكشف عن أسرارك سيسرني».

- هذا وعد منك.

وقبلها على خدها وابتعد، فأخذت تحدّق في أثره معجبة به: «تصبح على خير، يا ماثيو».

فأجابها بشخير عجيب.

- إذا كنت تهزأ بي، ستجد نفسك في مشكلة.

فالتفت إليها من عند الباب الخارجي: «وماذا ستفعلين؟»

وأحنى رأسه إزاء الوسادة التي اندفعت إليه: «الأفضل أن أذهب. لأن عليّ أن أستيقظ باكراً، لأذهب إلى العمل ثم أحضر إلى البيت وأرتدي بيجامتي المريحة».

- أخرج. قلت لك أنني لا أريد مزاحاً من هذا النوع.

فرفع يديه مستسلماً: «نعم، نعم... أنا، شخصياً، أرى هذه البيجاما ظريفة للغاية... أم تراها المرأة التي في داخلها؟»

تبدد ضحكها عندما نفخ لها قبلة ثم أغلق الباب خلفه. هذا يكفي للهدوء والعزلة. لقد حطم، مرة أخرى، الحواجز التي كانت عادت فأقامتها مرة أخرى بينهما. لم يهت افتتانها به على الإطلاق، بل على العكس، فقد أشعل مشاعرها نحوه حتى كادت تحترق هياماً له.

كانت الليلة هذه مختلفة. لقد أحست بذلك لحظة دخوله. كان

أقل تحفظاً وأكثر انفتاحاً. إنه عاد، في الواقع، يشبه ماثيو القديم؛ الشاب الذي عرفته قبل كل تلك السنوات. الشاب الذي أحبته. وأزاحت هذه الأفكار جانباً، رغم صعوبة تجاهلها كلياً. فحين تحتل صورة ماثيو عقلها يصعب عليها نبذها.

ماذا لو أنها أحبته؟ لقد انتهى حبها الآن. لقد أحبته في الماضي وانتهى الأمر.

ونظرت إلى المفتاح في يدها، وانقبض قلبها. أتراها تلعب بالنار؟ أتريد حقاً أن تعود إلى الاحتراق؟

وأخذت تنقف المفتاح مرة بعد مرة، آملة أن تحظى بجواب. ماذا سيفتح؟؟ مهما يكن ذلك، فهي ترجو أن لا يكون «صندوق باندورا»... المليء بالحيات والعقارب، كما تقول الأسطورة.

* * *

دار ماثيو حول المنعطف بسيارته، مبتعداً بعنف، كأفعى غاضبة تتهيأ لكي تنقض على فريستها. لقد خرج من شقة كارا دون أن يتغير قراره الذي استنفد كل ما لديه من إرادة لكي يستطيع أن يبتعد عنها. كانت تريد أن يظهر ولو قليلاً من مشاعره تجاهها. كان واثقاً من ذلك، وقد قاوم ذلك رغم أنه رغب بالاعتراف بما يحسه نحوها منذ فتحت له الباب ورآها بتلك البيجاما الظريفة للغاية.

تباً لذلك. هل تغيّر ذوقه؟ إنه يعشق ملابس المرأة الشمينة والفساتين الحريرية الناعمة. ومع ذلك، لمحة واحدة إلى كارا في تلك البيجاما المضحكة كادت تفقده صوابه. كيف يمكن أن تبدو مثيرة في مثل هذه الملابس؟ لا بد أنه فقد عقله!

على كل حال، كان يعلم أن لا شيء من ذلك يتعلق بملابس النوم بل بالمرأة التي ترتديها. ألا يكفي أنه أخذ ينام بشكل سيء

أثناء الأسابيع التي تلت تلك النزهة المحمومة المشاعر على يخته، حتى يكون عليه الآن أن يرضى بتلك الصورة التي عذبته؟

لابد أنه ساديّ من الذين يستمتعون بتعذيب أنفسهم. وإلا لماذا يعذب نفسه بهذا الشكل؟ إنه لم يحصل على شيء منها بعد، ومع ذلك يبدو أن كل ما يفعله هو أن يدفعها عنه. يجب أن تكون تلك العطلة الأسبوعية مختلفة. ربما تمنحه الفرصة لإكمال ما كانا ابتدأا به على اليخت. دون ارتباطات، طبعاً، وإنما بالشكل الذي يريده فقط. لا يمكنه التفكير أبداً في كلمة حب، خصوصاً مع كارا، إنه لا ينوي الوقوع في حب امرأة تعتبر المال شرطاً لقضاء وقت معه. وهذا لا يعني أنه فكر كثيراً بالمال في المرات القليلة الأخيرة التي كانا فيها معاً. كان مفتوناً بها إلى حد لم يعد يستطيع معه التفكير بشكل مستقيم فكيف بالتفكير في أسبابها التي دفعتها إلى طلب مثل ذلك الثمن غير المعقول؟ إنها بذلك تجعله يدفع ثمناً مؤقتاً لتقلب عواطفه، والحمد لله أنه ليس كأبيه. رغم أن أباه جيف بيرن يقول إن إعجابه بالنساء كإعجابه بتحفة رائعة، إلا أن ماثيو يعلم أن ذلك لابد أنه السبب في حزن أمه. وإلا ما الذي جعلها تهجره عندما كان في السادسة من عمره، فتركته مع أبيه المدمن على العمل والذي تزوج سكرتيرته بعد عام من رحيلها؟

لم يكن ماثيو غبياً. فقد فهم اللعبة في عمر باكر، وهكذا أخذ يستسلم إلى نوبة غضب في كل مرة كان أبوه يحضر فيها إلى البيت «الخالة دنيز» وذلك بعد رحيل «ماما» بشهور. وعندما انتقلت إلى البيت، أهلكه هذا ورفض أن يعترف بها (اماً ثانية). ومن المدهش أن دنيز بقيت زوجة لأبيه طوال عشرين عاماً فنشأ هو ميّالاً إليها. وقد أصيب بصدمة عندما هجرت أباه، رغم أن جيف قد عاد فتزوج

مرة أخرى، حالما وقع الطلاق. أصبحت لورنا الزوجة رقم ثلاثة وأكثرهن عشقاً للمال. كيف أمكن لأبيه أن يكون سهل الانخداع إلى هذا الحد؟

ضرب بيده عجلة القيادة مندهشاً إزاء أفكاره الواضحة. كيف يمكنه أن يتهم أباه بالتصرف بحماقة مع لورنا، بينما هو نفسه يلعب لعبة مماثلة مع كارا؟ من المؤكد أنها وجدته جذاباً، لكن المال كان شرطاً مكملاً لهذه الجاذبية. حتى أنها قالت بالضبط أن لا اتفاقية دون مال.

هز رأسه وهو يوقف السيارة ويدخل الشقة. لا سبيل إلى السماح لامرأة بأن تستغله بجشعها، حتى ولو كانت المرأة التي بإمكانها أن تحقق كل أحلامه وتتركه متلهفاً إلى المزيد.

أغلقت كارا حقيبتها الصغيرة، متمنية لو بإمكانها أن تفعل نفس الشيء بالنسبة إلى خفقات قلبها المتسارعة. نظرت في أنحاء غرفة النوم كيلا تكون نسيت شيئاً، ولم يمنعها هذا من أن ترى ملابس كثيرة منتشرة على السرير بشكل اختلط فيه الحابل بالنابل، خصوصاً الفساتين الأنيقة التي كانت ملقاة هنا وهناك. وكانت بحثت في خزانة ثيابها مئة مرة، تقيس هذا وتخلع ذاك بشكل عشوائي.

كانت هذه العطلة الأسبوعية هامة، وهي تريد أن تبدو واثقة من نفسها. لقد أثارت دعوة ماثيو فضولها، ومفتاحه الغامض أحدث ثقباً في حقيبة يدها طوال الأسبوعين الماضيين. ماثيو يعرف تماماً كيف يجلب إلى نفسها البهجة والإثارة، فالحياة معه لم تكن قط مملّة. إنه يعشق المرح ومليء بالحيوية كما أنه جذاب. نعم، خصوصاً الصفة الأخيرة، فهي تشتاق إليه طوال الوقت، متلهفة إلى كلمة منه، ابتسامة، همسة...

قطعت أفكارها نقرة على الباب، فاختطفت حقيبتها وتوجهت إلى الباب وقلبها يخفق توقعاً.

- مرحباً، يا جميلة. مستعدة للذهاب؟

ومنحها ابتسامة عريضة والدفء يشعّ من عينيه الزرقاوين يطمئنها.

- مستعدة كما سأكون على الدوام.

أجابته بذلك محاولة أن لا تحدّق النظر إليه. كان يبدو رائعاً بشكل لا يصدَّق ببنطلون الجينز والقميص الأبيض المقفل والسترة السوداء الجلدية.

- فلنرحل الآن إذن لأن الرحلة تستغرق ساعتين إلى «نهر الملك» وأنا لا أريد أن يفوتنا العشاء الليلة. سمعت أن الطاهي هناك ممتاز.

أومأت، فيما لفتتها الرقعة التي تظهر ماركة سرواله الجينز وهو ينحني ليحمل حقيبتها الصغيرة. وعندما لم تجب رفع بصره إليها.

- آه، أرى أنك اشتقت إلي كثيراً، لماذا ترمقينني بهذه النظرات؟

احمر وجهها وسرت الحرارة في كيانها. وضعت شعرها خلف أذنيها وأخذت تبحث عن عذر: «كنت فقط أراجع الرقعة التي تصنّف بنطلونك والملصقة به، لأنني رأيته يشبه بنطلوناً قديماً كان لدي».

لوى جانبي فمه: «أحقاً؟»

ووضع حقيبتها على كتفه بسهولة واضحة، وقدم لها يده: «إذا كنت محظوظة، يمكنك أن تنظري إليها فيما بعد عن قرب».

تجاهلت يده وأقفلت الباب ثم سارت نحو السيارة، تلاحقها ضحكة منه ذات معنى، لكنها لم تستطع تهدئة خفقات قلبها.

أخذا يثرثران طوال الرحلة، تقريباً. وعلى كل حال، كانت متلهفة إلى إلقاء سؤال محيّر عليه بقي يراودها منذ قبولها دعوته هذه. انتظرت حتى بدا المنزل وما حوله للعيان، إذ لم تستطع أن تتفادى

الأمر أكثر من ذلك.

- يا له من مكان رائع. كيف اكتشفته؟

فهز كتفه: «أقام أبي هنا فترة. إنه يحتوي على تسهيلات لمؤتمرات كبرى. إضافة إلى وسائل التسلية والترويح عن النفس مثل بركة داخلية للسباحة دافئة مياهها، وملعب للتنس، وبليارد. رغم أنني أظن أن الطعام هو الذي جذبه للعيش هناك، لقد بقي يتحدث عنه بحماسة مدة شهر بعد أن ترك المنزل».

- يبدو هذا عظيماً.

وأخذت تتأمل المشاهد الطبيعية، ولاحظت أشجار «الأوكالبتوس» الشامخة والمروج المعشوشبة المترامية مسافة أميال، والروابي الخضراء.

وأخيراً ألقت كارا سؤالها الذي يساوي مليون دولار: «كم من الضيوف يتسع لهم المنزل؟»

- عشرة أزواج، وأظن أن هذا العدد هو ما حجز له أبي.

استجمعت شجاعتها وقد بدا عليها التوتر:

- ماذا عن نظام المنامة...

فقاطعها: «لا تقلقي بالنسبة لذلك. سيكون علينا أن نشترك بغرفة وسرير واحد، للمظاهر فقط، وأظن بإمكاني أن أسيطر على نفسي. ماذا عنك؟»

ارتسم أمام عينيها مشهدهما معاً في غرفة واحدة. طرفت بعينيها تبعد هذه الصورة عن مخيلتها: «لا مشكلة في ذلك. أردت فقط أن أستوضح الأمر منذ البداية. ذلك لكي أتجنب أي وضع غير مريح».

ضحك بصوت خافت: «هيه. إذا كنت مهتمة إلى هذا الحد، يمكننا أن ننام رأس وقدم».

وعندما أوقف السيارة على طريق المنزل المرصوف بالحصى، ضربته على ذراعه بعنف.

أخذ يدعك ذراعه وهو يواجهها: «أنت تختزنين لكمات قوية للغاية، أيتها السيدة».

- هذا لا شيء. انتظر حتى ترى ما خططته لك إذا أنت خرجت عن الخط.

لمعت عيناه في الضوء الباهت الذي انتشر حولهما حين مالت الشمس إلى المغيب. وتمتم وهو يتأملها: «وعود... وعود...».

وقفت تنظر إليه بجمود. لم يكن ثمة مهرب حتى ولو شاءت ذلك: «أليس علينا أن ندخل؟»

- أخيراً.

وعندما مال نحوها، ارتفع صوت نفير حاد فقفزا من مكانهما وكأنهما مراهقان أدركوهما متعانقين. ثم وقفت بجانبهما سيارة رياضية حمراء، وانزلق زجاج نافذة السائق.

- هيه، أنتما الإثنين. توقيت عظيم، ولكن ماذا تفعلان هنا في السيارة؟ ظننتكما تفرغان حقائبكما الآن.

غمز لوك ساوندرز كارا. كانت قد قابلته عدة مرات ولطالما أحبت روح الفكاهة الجريئة فيه.

- فكرة حسنة.

تمتم ماثيو بذلك رغم أن صوته كان ينبئ بأن هذا آخر ما يريد القيام به.

وابتعد لوك بسيارته وهو يلوّح لهما بيده، ثم أوقف السيارة في مكان قريب.

- إنه شاب طيب.

قالت هذا وقد تشتت ذهنها لصمت ماثيو.

- أتظنين ذلك؟

لم تفهم كراهيته المفاجئة للدخول إلى البيت، خصوصاً بعد الأحاديث التي كانا يتبادلانها منذ دقائق. وسألته: «ماذا هناك؟»

دهشت وهو يقول لها: «أنا حقاً أقدّر لك هذا العمل لأجلي، يا كارا. أنا أعلم أن خروجك معي بصفتك حبيبتي إلى عشاءات مهنية، هو مختلف جداً عن القيام به طوال عطلة أسبوعية. كل ما أرجوه هو أن تستمري في صداقتك معي عند نهاية مهلة العقد».

تصرفه هذا زاد في توتر أعصابها: «ولماذا لا أكون كذلك؟ هل هناك شيء تخفيه عني؟»

فهز رأسه: «لا، لكن كثيراً من الناس سيفترضون أننا أقرب إلى بعضنا البعض مع انتهاء هذه العطلة الأسبوعية، بما في ذلك أبي. أنا فقط أريد أن أنبّهك، وهذا كل شيء».

فشدّت على يده: «لا تخف، سأكون حبيبة نموذجية وسترى. لا تنس أن الاتفاقية هي الاتفاقية».

مرّت على وجهه سحابة من الحزن وترك يدها: «نعم. هذا صحيح. حان الوقت لمواجهة الموقف الصعب».

ولم يكن الوقت كافياً لمزيد من الكلام عندما فتح لوك بابها: «أية مساعدة؟»

ابتسمت بعدم ثقة وقد انعقد لسانها. أيّ عمل جهنمي تقوم به في تأديتها دور اشتاقت إليه طوال حياتها؟ من المؤكد أن والد ماثيو وزملاءه الأقربين سيدركون أثناء العطلة الأسبوعية أنها زائفة لعوب. وإذا كان ذلك ماذا سيحصل عندما يصبح شريكاً، وكذلك ماذا سيحصل لعمل سالي؟ هذا عدا عملها هي؟

كلما أسرعت في ضمان الجائزة لسالي، كلما أسرعت في تركيز اهتمامها على عملها هي.

كانت تصغي، جزئياً، إلى حديث الرجلين وهما يرتقيان درجات المنزل، عندما سمعت صوت أزيز عجلات سيارة. التفتوا ليروا سيارة صفراء متألقة تتوقف بجانبهم، والحصى يتطاير في أثرها، لتخرج منها امرأة سمراء كالتمثال من خلف المقود.

- عظيم. هذا هو حبيبي الآن.

حدّق ماثيو إلى المرأة وقد شحب وجهه ثم التفت إلى لوك: «هل دعوت ميراندا؟ أي حق لك في هذا؟»

فغمز لوك بعينه: «إنها حب حياتي. على الأقل أثناء هذه العطلة الأسبوعية».

- أتعلم أنك مجنون؟

رأت ماثيو يقبّض يديه ويفتحهما لعدة مرات وقد بدا التوتر واضحاً عليه. فسألته: «هل تعرفها؟»

عند ذلك التفت ماثيو إليها وكأنه لاحظ وجودها لأول مرة: «نعم. يمكنك أن تقولي هذا».

تخلل شعره بأصابعه، ثم نادى لوك الذي كان مستغرقاً في مناقشة مع ميراندا المثيرة: «سنراك في الداخل».

ثم أمسك بمرفقها وصعد معها بقية الدرجات والاشمئزاز باد على وجهه.

- هل هي صاحبة سابقة لك أو صديقة؟

فأومأ برأسه: «نعم صاحبة سابقة. لكنها ليست صديقة، ولا أستطيع أن أصدّق أن لوك تعلّق بها. أيمكننا أن نغيّر الموضوع الآن؟»

شعرت بطعنة حادة من الغيرة: «كما تشاء، ولكن إن لم تكن صديقة، فلماذا تبدي كل هذا الانزعاج».

فقال وهو يدفع الباب الثقيل: «دعي هذا. ما حدث في الماضي يبقى في الماضي، ولنأمل فقط في أن ماندي تتذكر تلك القاعدة».

ماندي. اسم التدليل هذا لم يخفف غيرتها ذرة واحدة. وحاولت أن تبعد المرارة عن لسانها وهي تقول: «ما الأمر؟ ظننتك تحب أن يكون لديك أكثر من امرأة واحدة تتملقك».

- العهر ليس تملقاً.

- ولا هو شراء واستعراض حبيبة مزيفة لأجل الارتقاء بعمل الشخص.

شحب وجه ماثيو للمرة الثانية في أقل من خمس دقائق. بينما تراجعت هي بحركة تلقائية، مدركة أنها ذهبت أبعد مما يجب. وقال وهو يلقي إليها بمفاتيح السيارة فتلتقطها بحركة تلقائية: «أنا ذاهب لأفرغ أمتعتي، غرفتنا هي رقم ثمانية. إذا شئت أن تأتي معي، هذا حسن جداً، وإذا لم تشائي، فأنا لم أعد أهتم مثقال ذرة. الأمر يعود إليك، ولا يهمني أي أمرٍ تختارين».

أخذت تنظر إليه وهو يبتعد بخطوات واسعة وعيناها مغرورقتان بالدموع. تباً! إنها تريده أن يهتم بها. تريده أن يهتم بها بقدر ما تهتم هي به... وأكثر. ما الذي ستفعله الآن بحق الله؟

٩ - رحلة لا تنسى

فتح ماثيو باب الغرفة ودخل لا يكاد يلحظ ما حوله. لم يستطع أن يصدق أن خطته قد فشلت فيما يتعلق بفتاة أحلامه أثناء هذه العطلة الأسبوعية. وهو، حالياً، لا يعلم ما إذا كانت ستبقى أم ترحل.

وحيث أنه كان واقعياً، فقد ظن أنها سترحل. لقد فقد أعصابه معها، ولكن إذا كان يكره شيئاً، فهو الغيرة... فقد رأى سلسلة زوجات أبيه الباحثات عن المال يستعملن الغيرة على الدوام لكي يحصلن على ما يبغينه. طبعاً، لم يكن في تصرفه، حين جاءت ميراندا، ما يبعث على الزهو، ولكن لماذا استجواب كارا ذاك له؟

ربما هي تهتم به أكثر مما يظن. خطرت هذه الفكرة له فشعر بشيء من الارتياح. وما لبثت أن تبعتها فكرة أخرى. بالنسبة إلى رجل مثله لا يطيق الغيرة، إذا بهذه الغيرة تثور في نفسه مستيقظة عندما سمع أن ستيف روكويل كان حبيب كارا فيما مضى. وماذا فعل حيال ذلك؟ أراد أن يلكم هذا الذي جرح كرامته على أنفه. فلماذا يدينها، إذن، قبل أن يمنحها فرصة؟ يا إلهي، إنه غبي أحياناً، بالنسبة إلى محامٍ ذكي.

في لهفته لإصلاح خطأه، فتح الباب بعنف واندفع إلى الخارج وإذا به يكاد يصطدم بكارا. وقالت برقة: «هل يمكنني أن أدخل؟»

تملكه الارتياح وهو يفسح لها الطريق، مقاوماً رغبة تملكته بأن

يأخذها بين ذراعيه ويعتذر منها: «بالتأكيد. دعيني أحمل حقيبتك».

جالت بنظراتها في أنحاء الغرفة قبل أن تتقدم إلى السرير وتجلس عليه وهي تقول: «المكان جميل».

نظر حوله وكأنه يرى الغرفة لأول مرة، ولاحظ الأرض الخشبية المصقولة، والسجاد البرغندي، وغطاء السرير المتلائم معها. حدّق إلى السرير الفسيح وتمنى أن لا يبدأ ذهنه بالأحلام. لكن تمنياته لم تتحقق. كما أن عودته بانتباهه إلى كارا لم ينفع بشيء. كانت ترتدي ملابس أنيقة، وكانت عيناها المنحرفتان مسمرتين عليه. وأغواه مظهرها إلى حدٍّ صعب عليه تمالك نفسه.

وقبل أن يفكر، اندفع يقول: «آسف لما صدر عني».

فقالت بشبه ابتسامة: «ماثيو بيرن يعتذر؟ لابد أنه أول اعتذار في حياتك».

هز كتفيه وقد عادت إليه ثقته بنفسه حين رأى ابتسامتها العريضة الوقحة: «بل أعتذر عندما أشعر بأنني أخطأت».

- أتريد أن تقول إنك تصرفت بشكل كريه وإنك تريدني حقاً أن أبقى؟

ورفرفت بأهدابها وكأنها لعوب ذات خبرة.

فزمجر يقول وهو يتقدم نحوها: «لا تستعجليني أيتها السيدة».

وأخذها بين ذراعيها متلذذاً عطرها الساحر الغامض الذي أيقظ حواسه، ذلك العطر الذي أعاد إليه ذكريات عيد ميلادها الثامن عشر، عندما دفعها عنه. لكنه، في هذه العطلة، لن يكون بهذه الحماقة.

تلوّت بين ذراعيه: «متى سأستعمل ذلك المفتاح؟»

- المفتاح؟ أي مفتاح؟

غطى وجهه بقناع من اللامبالاة وهو يقول ذلك، وكاد ينفجر ضاحكاً للذعر الذي بدا على وجهها.

ابتعدت عنه وشبكت ذراعيها بحركة دفاعية.

- لا تتظاهر بالسذاجة معي، يا ماثيو بيرن. ذلك المفتاح الغامض هو الذي أحضرني إلى هنا في هذه العطلة الأسبوعية وأنت تعلم هذا.

- وكنت أظن أن سحري المدمّر هو الذي أحضرك إلى هنا. إنك تعرفين جيداً كيف تجرحين كرامة الرجل.

وضعت يديها على وركيها: «إذا كنت تعبث معي، سيكون هناك بعض الجروح ستحدث في هذه العطلة الأسبوعية وليس لغرورك فقط».

ورفعت ركبتها برفسة ساخرة. فعبس: «أوه، إياك أن تفكري في ذلك، ولكن بإمكاني أن أفكر بأشياء أكثر بهجة إذا كنت تريدين السير في ذلك الاتجاه العام».

اتسعت عيناها واحمرت وجنتاها: «أنا ذاهبة لأخرج أمتعتي من الحقيبة».

- وماذا عن المفتاح؟

- أنا واثقة من أنك ستكشف عن سره في الوقت المناسب، أما الآن فأنا أريد أن أستحم وأستعد للعشاء.

- ليس هذا كل ما قد أكشف عنه!

فصفقت باب الحمام إزاء ضحكته.

* * *

كان العشاء كابوساً. كانت كارا تظن في مقابلاتهما الماضية، أن التظاهر بأنها حبيبة ماثيو هو أمر شاق... لكنها لم تكن رأت شيئاً

بعد. ذلك أن إحاطة زملائه المقربين بها، وكذلك أصدقائه وأبيه، كان أكثر من أن تطيقه. التظاهر أمام المعارف في العمل كان أسهل بكثير. تعب وجهها من الابتسام كما تعب قلبها من الخداع.

وقد عاملها أبوه وكأنها ابنة له ضاعت منذ زمن طويل فأخذ يعرضها متباهياً أمام موظفيه. وكان بإمكانها أن تواجه ذلك بسهولة لولا نظرات ماثيو الحارقة التي كانت تلاحق كل حركة لها. كان قلبها يخفق وعياً بوجوده سواء كان بجانبها أم خارج الغرفة. كل نظرة، كل ملاطفة، كل ابتسامة كانت تدنيها من فقدان التحكم في النفس.

لا يمكنها أن تشترك في غرفة واحدة مع هذا الرجل، ثم تبقي علاقتهما حيادية؟

عندما قاربت السهرة على الانتهاء دنت أعصابها من نقطة الانهيار. أما ميراندا السيئة السمعة التي استطاعت أن تدير كل رجل موجود بخنصرها، فقد اختارت هذا الوقت للتقرب منها.

- مرحباً، لا بد أنك كارا. أنا ميراندا.

ومدت لها يداً ملوّنة الأظافر.

كانت كارا تتوقع قبضة باردة فإذا بها تجدها دافئة إلى حد مدهش: «مسرورة بمعرفتك».

- أنت إذن الحبيبة الأخيرة لماثيو؟

- نعم، وقد أخبرني بكل شيء عنك.

أجابت كارا بذلك وهي تتساءل عما إذا كان الله سيحرقها في جهنم لهذه الكذبة البيضاء.

- حقاً؟ أرجو أن لا تكون هناك مشاعر قاسية، إذن. إنه لم يتحدث إليّ منذ انفصالنا. لقد عاكسنا القدر، كما تعلمين.

أخذت كارا تنظر إلى السمراء وهي تعبث بفتحة ثوبها الأسود الحريري. وفجأة، شعرت بالشفقة عليها، فهي تعلم ما يعني أن لا تكون محبوبة أو مرغوبة من رجل مثل ماثيو. وقالت لها: «لا تقلقي لهذا، فأنا واثقة من أنكما ستتحدثان مع بعضكما البعض مرة أخرى. خصوصاً الآن وأنت تقابلين أحسن صديق لديه».

ابتسمت ميراندا كاشفة عن أسنان لامعة منتظمة: «أنت طيبة حقاً. أنا مسرورة جداً لأن ماثيو اختارك ليستقر معك».

ضحكت كارا بصوت خافت محاولة أن تتجاهل تسارع خفقات قلبها: «من أخبرك بهذا؟»

- لوك طبعاً، إنه يقول إن ماثيو مفتون بك، وإنه لم يره قط متهافتاً بهذا الشكل نحو امرأة أخرى.

وقبل أن تجيب كارا، جاء جيف ليقف معهما: «إنه حظي الحسن الذي جعلني أقف بين أجمل امرأتين في الغرفة، هل تستمتعان بوجودكما هنا؟»

أومأت كارا، مسرورة بأن تتحدث ميراندا إلى جيف بينما أخذت هي تبحث بعينيها عن ماثيو فرأته عند طاولة «البلياردو»، مستغرقاً في حديث مع لوك. انقبض قلبها عندما فكرت في ما أخبرتها به ميراندا.

أترى تقدير لوك لشعور ماثيو نحوها دقيقاً؟ هل يهتم ماثيو حقاً أم أنه مجرد ممثل جيد إلى حد بعيد؟ إن لوك يعمل في الشركة وواضح أنه على علاقة جيدة مع جيف. ألا يمكن أن يكون ماثيو يريد أن يقنعه بأن علاقتهما جيدة، وذلك أملاً بأن يدعم هذا حظه في أن يدخل شريكاً مع أبيه؟ لابد أن الأمر هكذا... فهو التفسير المنطقي الوحيد. وألمها ذلك أكثر مما يمكنها الإعتراف به. في دقيقة من

النشوة، أرادت أن تعتقد بأنه يحبها، وذلك قبل أن يتبلج لها الواقع.

اعتذرت وتركت الغرفة، متلهفة إلى مكان هادئ تنظم فيه أفكارها. ولم تكن غرفتهما مناسبة لذلك لأنها ستكون أول ما يبدأ ماثيو البحث فيه عنها... ودون تفكير، توجهت نحو غرفة بركة السباحة التي كانت تتصل بالبيت الرئيسي بممر طويل مسوّر بالزجاج. كما كان عدد من المقاعد المستطيلة يحيط بالبركة الصافية المتألقة التي يمكن أن تتحدى أي بطل سباحة في «الأولمبياد». والتصقت رطوبة الجوّ بجلدها ما دفعها إلى الاستلقاء على ظهرها على أحد تلك المقاعد وإغماض عينيها.

إذا كان العشاء كابوساً، فبقية السهرة ستكون جحيماً، لقد استعملت كل عذر لكي تقنع نفسها بأنها لا تحب ماثيو. ذلك أن المحامي الغني الناجح ليس الطراز الذي يعجبها. إنه فتى عابث سيحبها ثم يتركها، طراز حياته يتطلب صورة امرأة لا عيب فيها وهي تظهر ذلك للآخرين فقط بصفته جزءاً من عملها.

هذا إضافة إلى العذر الأبرز، وهو أنها قدمت إليه نفسها مرة من قبل، فرفضها. كل عذر كان قوياً سليماً، ومع ذلك لم تقتنع. إنها تحبه... هكذا وبكل بساطة. لقد أدركت ذلك أخيراً هناك في شقتها حين جاء يدعوها إلى قضاء عطلة الأسبوع هذه معه.

لم تعرف ذلك من شيء خاص قاله أو فعله. إنها فقط أدركت ذلك عندما خرج فشعرت بأن حياتها أصبحت فارغة من دونه. شعرت بأنها تحبه وأنها ربما كانت تحبه على الدوام. ماذا ستفعل عندما يتسلل من حياتها عند انقضاء الاتفاقية؟

إنها ليست غبية، ذلك أن ماثيو لم يكتم حقيقة وذلك منذ وقّعت تلك الاتفاقية اللعينة. فما هو الجديد في الأمر إذن؟ ألا يجد كل

النساء جذابات؟ وربما وجد أن من الطبيعي أن تكون الجاذبية جزءاً من الاتفاقية. على كل حال، إنها تشك في أن ثمة امرأة تبلغ بها الحماقة في الماضي، حد رفض ماثيو، لكنها ستكون البادئة. إن عليها ذلك إذا كانت تريد أن تنجو بقلبها سليماً لم يُمس.

١٠ - سأكون حبيبتك للحظات

يكفي تظاهراً بأنها حبيبة ماثيو! أثناء العطلة الأسبوعية، تقمصت كارا دورها هذا بمتعة جديدة، وقد تلاشت كل الشكوك السابقة، وعند الصباح، أدلى البعض بتعليقات عن توهج وجهها. خصوصاً جيف، والد ماثيو. ومن المضحك أنه كان الشخص الذي كانت مركزة على أن تخدعه، ظناً منها أنه سيكتشف أنها زائفة.

لم يعد هنا من يحتاج إلى إقناع، لأنها استغرقت في دورها بشكل جيد جداً الآن. أصبح سهلاً عليها تجاهل مخاوفها عندما أخذ ماثيو يعاملها وكأنها ملكة. فهو لا يفتأ ينظر إليها وكأنه يريد أن يطمئن إلى أنها موجودة حقاً. وكانا قد ذهبا يتنزهان على الخيل عصر ذلك اليوم، مبتعدين عن بقية الضيوف ليجدا مكاناً هادئاً تحت الأشجار. وهناك على ضفة النهر المظللة، أخذا فرصة للتمتع بجمال الطبيعة. وجلسا على العشب.

كان العشاء مرحاً رغم أن وجوده بقربها كان يلهيه عن أي حديث مهذب كان يتبادله الآخرون. وكان أبوه يبتسم لها متساهلاً كلما رآه يحدق إليهما عبر المائدة فكانت تكبح شعوراً بالذنب لما كانت تفعله. ذلك أن الوضع لا شك كان ما يزال خطأ. فقد كان ماثيو يستخدمها لتخدع أباه وهذا ما كانت تفعله. كل ذلك باسم تلك الاتفاقية السخيفة. وإذا شاءت الصدق مع نفسها، لم يكن ذلك لأجل سالي فقط، وإنما كانت تعشق فكرة أن تكون حبيبته واشتياقه

الدائم لها يؤكد ذلك. إنها، وبكل بساطة، تحبه. وليس هناك ما تفعله في هذا الشأن.

- إنك تفكرين بجد بالغ... كما أرى.

وانحرف بالسيارة متجنباً حيواناً يسير متمهلاً بجانب الطريق.

- هذا قول سهل. كيف يمكن لرجل يجلس مع أجمل امرأة في العالم أن يركز على أي شيء... وخصوصاً الطريق؟

تملكها السرور لمديحه هذا: «أنا واثقة من أن بإمكانك أن تتدبر أمرك».

همهم مفكراً، ثم أمضيا نصف الساعة التالية بصمت، غارقين في أفكارهما. وسرعان ما وصلا إلى بيتها في المدينة. كانت قد خافت هذه اللحظة، متسائلة إن كانت هذه العطلة الأسبوعية من تخيلاتها وعلاقتهما الجديدة ستتلاشى عند عودتهما إلى سيدني.

يكفي هذا التظاهر بالهدوء، فهذه العطلة الأسبوعية لم تفعل سوى ترسيخ حبها لماثيو وتعميقه. كل ما كانت ترجوه هو أن لا يلقي عليها نظرة واحدة الآن، ثم ينبذها.

سألها وهو يضع حقيبتها على درجات بيتها: «هل لديك المفتاح؟»

أومأت وهي تفتش في حقيبة يدها: «لحظة واحدة».

لم تستطع قراءة التعبير الذي في عينيه، فقد انعكست زرقة قميصه على عينيه فزاد في عمقهما وغموضهما وبالتالي في توتر أعصابها.

- أتريدين مساعدة؟

ومد يده إلى داخل حقيبتها وأخرج المفاتيح من الجيب الجانبي، وعلى فمه شبه ابتسامة. وفتح الباب في لحظة ووضع لها حقيبتها في الداخل ثم قال: «عليّ أن أذهب. لدي عمل في المكتب».

هبط قلبها. كانت ترجو أن يدخل فيتحدثان عما حدث. ولكن، بدلاً من ذلك، كان متلهفاً إلى الهرب من صحبتها، متحججاً

بالذهاب إلى المكتب يوم الأحد... يا لها من حجة واهية!

قالت دون أن تستطيع مواجهة عينيه: «شكراً لهذه العطلة الأسبوعية. لقد استمتعت بها».

رفع وجهها إليه وقال برقة: «سأتصل بك».

بدت على فمها ابتسامة بلهاء وهو يستدير ويندفع في الطريق نحو سيارته دون أن ينظر إلى الخلف. وأغلقت الباب وهي تتنهد. وسمعت السيارة تبتعد. وعندما وضعت المفاتيح على منضدة المدخل، إذا بها تتذكر المفتاح الآخر. لقد نسيت، في خضمّ مشاعرهما المحمومة، كل ما يتعلق بالمفتاح الذي كان أعطاها إياه.

يكفيها ما اكتشفت من خفاياه ولم يعد بحاجة إلى أن يتحداها بذلك المفتاح المغري. المشكلة هي أن قلبها لم يعد ملكها ولا تعرف سبيلاً لاستعادته.

* * *

أيقظها رنين جرس الباب من نومها. نظرت حولها فأدهشها أن ترى شفق الغروب متشراً. لابد أنها نامت على الأريكة.

من يكون القادم؟ وفركت عينيها، راجية أن يعود الطارق من حيث أتى، أياً كان. ذلك أن ليالي الأحد هي ملكها، حيث تستعد فيها لصباح الإثنين البغيض.

- افتحي، يا عصفورتي.

وما أن فتحت كارا الباب حتى ألقت سالي بثقلها عليها تحتضنها: «كيف حالك يا حبيبتي؟ وكيف كانت العطلة الأسبوعية؟ كيف حال حبيبك الرائع؟»

فرفعت كارا يديها مستسلمة: «سؤال بعد سؤال يا سالي».

نظرت إليها سالي منتقدة: «ماذا حدث لك؟ ظننتك ستكونين على

بساط الريح بعد قضائك تلك العطلة الأسبوعية مع صاحبك الرائع ذلك».

- إنه ليس صاحبي.

تمتمت كارا بذلك، متمنية لو أن هذه الكلمات غير صحيحة.

- هل هذا صحيح؟ حسناً... كيف تفسرين مظهرك هذا الذي يدل على أن عينيك لم تغمضا أثناء الليالي الأخيرة؟

وشبكت سالي ذراعيها وضحكت. فاحمرّ وجه كارا: «لا أدري ما الذي تتحدثين عنه. لقد غفوت على الأريكة، لا غير، وهذا هو سبب تعبي».

وتحوّلت عنها وملأت إبريق تسخين الماء، عالمة أن وجهها سيكشف أسرارها.

جاءت سالي إلى خلفها واحتضنتها: «أنا لا أتجسس عليك يا حبيبتي. أنا سعيدة فقط لأنكما، أنت وماثيو، قد وجدتما بعضكما بعضاً مرة أخرى».

- هممم...

كاد احتضان سالي لها أن يحطمها، تلهفت إلى أن تستدير وتدفن وجهها بين ذراعي سالي وتفضي إليها بالمأزق الحقير الذي أوقعت نفسها فيه. الاتفاقية، المال، شعورها نحو ماثيو. تمالكت نفسها وتخلصت من احتضان سالي لها، ثم دفنت رأسها في الثلاجة تبحث عن الحليب.

سمعت سالي تقول بحماسة: «لدي خبر جيد لك».

التفتت إليها كارا لترى سالي تكلم الهواء: «لقد فزت. أتصدقين ذلك؟ لقد فزت»..

تملكت كارا، لسماعها هذا الخبر وما يتضمنه، شبه صدمة. لقد

ربحت وسيطة الزواج الجائزة.

- هذا رائع. تهاني، يا سالي، كنت أعلم أنك ستفوزين.

واندفعت كارا إلى سالي تحتضنها بينما الذهول يتملكها وهي ترى أول بذرة من الشك تنمو وسط سعادتها هذه. إذا كانت الجائزة من نصيب سالي، فهذا يعني أنه لم يبق ثمة سبب يجعلها تتظاهر بأنها حبيبة ماثيو بعد الآن. ليس من ناحيتها، على كل حال.

- شكراً، يا حبيبتي. لولاك لما حدث هذا. قالت لجنة التحكيم أن تناسب المتعارفين الألف لدي، حسم قرارها. وبالمناسبة، سأحتاج إليكما، أنت وماثيو لكي تقوما بشيء من الدعاية.

فتملك كارا الخوف: «أي نوع من الدعاية؟»

هزت سالي كتفيها: «أنا لست واثقة بعد. لجنة التحكيم ستخبرني فيما بعد. كما ترين، انتهى كل شيء على خير. ربحت أنا الجائزة، والوكالة أنقذتها أموال الجائزة. وأنت حصلت على رجلك، وسيط «الزواج» للإنقاذ مرة أخرى».

حصلت على رجلي!

تجاوب صدى هذه الكلمات في ذهن كارا. يا ليتها كانت حقيقية! بدلاً من ذلك، عليها الآن أن تنهي تلك الاتفاقية وهو سيبحث عن امرأة أخرى تأخذ مكانها، وربما في غمضة عين. إنه، حتماً، سينزعج من أن هذا التظاهر سيبدأ من جديد، لكنه سيظفر، في النهاية، بمنصب الشريك في الشركة، الذي كان يتطلع إليه. أما هي، فتأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بالنسبة إليه. في مساعدتها لإنقاذ عمل سالي، فقدت قلبها مرة أخرى، ومع نفس الرجل. ما الذي سيجعلها تُشفى من هذا؟ هناك شيء واحد فقط عليها أن تقوم به وهي لا تتمنى ذلك على الإطلاق.

الحمد لله أن سالي لم تمكث طويلاً، ما منح كارا فرصة التفكير بشكل جاد قبل أن تخبر ماثيو بخبر انتهاء الاتفاقية بينهما.

رباه إنها ستفتقده. أكثر من ذلك كيف ستحتمل رؤيته مع امرأة أخرى بعد أن فقدت عقلها الآن كلياً ووقعت في غرامه مرة أخرى؟

كانت تعلم أن إمضاء وقت طويل برفقته سيقويّ مشاعرها نحوه، ومع ذلك ضربت بالحذر عرض الحائط، وقامت بذلك. وهذا يكفي لوضع الحواجز بينهما، ودفعه عنها. في اللحظة التي دخل ماثيو فيها حياتها، كان عليها أن تقوم بالشيء العقلاني الوحيد الممكن وهو الانتقال إلى «بيرت»!

لكنها، بدلاً من ذلك، اتّبعت قلبها الذي أوشك أن ينال عقابه. إذ لا شك أنها ستصبح الآن الثانية في الأفضلية عندما تنتهي هذه الاتفاقية، فلا عشاءات ولا اتصالات تليفونية ولا إلفة ومودة بعد انتهاء مدة العقد.

وفجأة، خطرت لها فكرة. إذا كان عليها أن تخبره بالحقيقة، لماذا لا تأخذ فرصتها الأخيرة لاقتناص السعادة؟ ربما تمكنا رغم كل شيء، أن يحصلا على حكايتهما الخرافية بنهايتها السعيدة.

كبحت ابتسامة عريضة عندما قويت هذه الفكرة في رأسها. نعم يمكنها أن تنجح في هذا، وهي تعرف بالضبط ما هي بحاجة إليه لكي تضع خطتها هذه قيد التنفيذ.

* * *

وقّع ماثيو آخر عقد، وأضافه إلى الكومة ثم استند إلى الخلف في كرسيه. كانا أسبوعين مرهقين، قام فيهما بمفاوضات أساسية اقترب فيها من النهاية في نفس الوقت تقريباً. كان متعباً لكنه منتعش في نفس الوقت، وكانت بهجة النجاح بنفس الحلاوة التي كانت بها

حين أنهى أول اتفاقية له. كان يعشق عمله وسيعشقه أكثر حين يصبح شريكاً في الشركة.

ولكن ليس بقدر عشقه لكارا.

إنما عليه أن يراها. فقد كانت باردة على التليفون في المرات القليلة التي تحدثا فيها مؤخراً. ماذا حدث لتلك الرقيقة الحنون التي أمضى برفقتها وقتاً رائعاً؟

وقطع عليه أفكاره نقر على الباب.

- ابتعد من هنا يا لوك. ليس لدي مزاج لمقابلتك.

كان يتوقع زيارة من صديقه هذا، المصمم دوماً على أن يمنح كارا الدرجة الأفضل بين النساء.

- آه، وهل لديك مزاج لأي شيء آخر؟

انتصب في جلسته ذاهلاً وهو يرى المرأة التي كان يحلم بها لتوّه، يراها تتجسد أمام عينيه. والأكثر من ذلك هو أن صوتها كان يتلاءم مع ذاك الذي في ذهنه... في خفوته وإغرائه، ومظهرها في معطف المطر هذا المشدود عند الخصر بحزام، يخفي ما لا يعلمه إلا الله.

وأخيراً، تنحنح وسألها: «ما الذي جاء بك إلى هنا؟»

أجابته بأن أقفلت الباب وعندما استدارت إليه، لمح نظرة لم يفهم معناها. رباه، إنها هنا، واقفة أمامه. توقف قلبه لحظة عن الخفقان... ثم أخذ يعدو بسرعة مليون خفقة في الدقيقة. وعندما جثمت على حافة مكتبه، هزت إصبعها في وجهه: «كنت تتجنبني، وهكذا قررت أن أعالج الوضع».

تحرك في مقعده، غير قادر على تحويل نظره. كان بحاجة إلى النهوض والهرب قبل أن يتقدم نحوها.

وهو يجاهد للإحتفاظ بهدوئه، حوّل إلى عينيها؛ لم يكن هذا أفضل كثيراً. فقد كان بريقهما الوهاج متماثل مع «مصباح المحامي» القائم على مكتبه بخضرته الداكنة العميقة الذي ينشر ضوءه الساطع حوله.

- هل جئت للحديث؟

وابتلع ريقه محاولاً أن لا يفكر في البريق المتدفق من عينيها باعتباره من تخيّلاته.

- نوعاً ما.

نزلت عن المكتب ووقفت أمامه. أخذ قلبه يخفق وهي تنظر إليه بهاتين العينين الجريئتين الساحرتين، وتشبثت أصابعه بذراعي الكرسي كما يتشبث الغريق بلوح خشب طافٍ. فقد كان يغرق... يغرق في موجة جارفة لم يعرفها من قبل قط.

- ماذا يعني هذا؟

- أظن الوقت حان لمناقشة عدة أمور، أليس كذلك؟

جمدت نظراتها على وجهه لكن مخيّلته لم تجمد، وفي لحظة، قفز واقفاً والصمت يخيّم على المكتب فقالت مستغربة صمته: «أتدعو هذا حديثاً؟».

قال لها وهو يقطع حبل الصمت: «ألهذا جئت إلى المكتب أم لسبب آخر؟».

واعترفت: «لقد اشتقت إليك».

- وأنا كذلك.

وجذبها إليه وعانقها بعنف ليثبت قوله هذا.

- آه، يا ماثيو.

- انتتاول الغداء في بيتك أم بيتي؟

ركزت انتباهها على الجاذبية التي أوقعتها في حبه، وتساءلت لحظة إن كان لديها الشجاعة للسير مع بقية خطتها.

وحمل مفاتيحه وارتدى سترته: «قرري أنت».

- بيتي.

قالت هذا بسرعة قبل أن تفقد أعصابها كلياً: «أما بالنسبة إلى أنني متشوّقة، فأنت لم تر شيئاً بعد...».

www.elromancia.com

١١ - حان وقت الحقيقة

لم تكمل كارا خطتها. كانت خططت لأن تخبر ماثيو بالحقيقة وذلك على مائدة الغداء، ولكن لم تسنح لها فرصة، حيث أن فترة الغداء تحولت إلى أحاديث وذكريات جميلة. وقد ضحكا فيما بعد وهما يحملان كوبي قهوة يتصاعد منهما البخار، وهما يمزحان ويستمتعان بوقتهما معاً.

ليس في المطبخ فقط، فقد أصبحت ذكراه في كل مكان الآن. في كل زاوية وناحية من بيتها. لقد تعمدت ذلك لكي يبقى لها منه جزء هو ذكرى وعزاء حين ينتهي كل شيء بينهما.

لقد نجحت حتماً في معظم خطتها، لكنها، فقط، لم تستطع السير بها إلى النهاية. ذلك أن قرارها المتعلق بتصفية الحساب بينهما ومن ثم قطع العلاقة قد محته السعادة التي غمرتها بالقرب ماثيو. ولم تجد ما يشكّل سبباً كافياً لإنهاء علاقتهما.

لم تستطع أن تصدق أنها أدّت بنجاح خطتها الأساسية، بجعله يجن حباً بها قبل أن ينهي الاتفاقية. ذلك أنه كلما طال استمرارها في تأدية دورها معه بصفتها حبيبته كلما طال الزمن لكي يشفى قلبها من حبه، هذا إذا كان سيشفى.

والآن، بعد أن تبدد شعورها بالذنب نحو سالي، عادت تلقي بنفسها في دور حبيبته إنما لرغبة أنانية هذه المرة وهي أن ترضي رغبتها. ولم يعد يشعرها ذلك بأنها تقوم بعمل سيء للغاية. فهي لا

تنوي أن تأخذ أجراً في نهاية الاتفاقية وهي لا تخدع أحداً.

ما عدا نفسها!

إذا كانت صادقة حقاً، فهي ما زالت تحلم بأن يقع في حبها ليميشا، بعد ذلك، سعيدين طوال الحياة، كما تقول الحكاية الخرافية. وعلى كل حال، هي ليست سندريلا، ولديها انطباع بأن أميرها الفاتن هو على وشك أن يندفع على ظهر حصانه إلى حيث مغيب الشمس، بدونها.

رن جرس الباب عندما انتهت مع وضع الصبغة على شفتيها. ومرة أخرى تشهد لماثيو بالدقة في مواعيده. وفتحت الباب مرحّبة.

- مرحباً بك.

كان ترحيباً بسيطاً إذ لم تستطع أن تتكلم وهو يواجهها بمظهر أمير ساحر في بذلة العشاء.

- مرحباً بك أنت. تبدين أشبه بحلم.

وصفر طويلاً بصوت منخفض ثم أمسك بيديها وأخذ يؤرجحهما حوله معبراً لها عن اعجابه بأناقتها.

- أنا مسرورة لإعجابك بمظهري.

- آه، إعجابي يفوق كل وصف. وأظن بإمكانك أن تشعري بمبلغ ذلك.

سألته: «ما مبلغ أهمية حفلة الكوكتيل تلك بالضبط؟»

بدا صوتها وكأنه قادم من كوكب آخر عندما أخذت دقات قلبها تتسارع في أذنيها.

ردّ قائلاً: «آسف، يا حبيبتي. لا أحب شيئاً أكثر من البقاء معك هنا، لكن أبي سيعلن الليلة أمراً هاماً وعليّ أن أكون هناك، هذا إذا كان الأمر هو ما أظنه...».

وسكت دون إيضاح أكثر.

ردّت: «الليلة ليلتك، إذن؟»

- لست واثقاً، ولكن ماذا يمكن أن يكون غير ذلك؟ منذ أشهر وثمة مكان فارغ لشريك وكان أبي يكونّ رأياً عني.

وأخذ يسير في أنحاء الغرفة وقد بدا عليه التوتر.

- لقد فعلت كل ما اقترحه عليّ. . . .

ومرة أخرى لم يتم جملته. ولم يكن بحاجة إلى ذلك. فهما، الإثنين، يدركان أنه كان يتحدث عن الاتفاقية بينهما، وإذا كان ما سيعلنه أبوه الليلة هو ما يتوقعه، فهو لن يكون بحاجة إلى متابعة اتفاقيتهما أكثر من ذلك.

- لقد فعلت أكثر من ذلك.

وحاولت أن تجعل صوتها مرحاً لكنها فشلت بشكل محزن.

- أنا آسف يا كارا لكل شيء.

والحمد لله لأنه لم يقترب منها.

- لا تعتذر عن شيء. كنا، نحن الإثنين، نعرف الهدف من هذا منذ البداية. الاتفاقية هي الاتفاقية، هل نسيت؟

قالت هذا بوقاحة محاولة، بذلك، أن تخفي ألمها. . . وكان عليه أن يبدي شعوراً بالخجل، فقال: «نعم، لكنني لم أخطط للوصول إلى شيء في علاقتنا؟»

هزت كتفيها ونظرت بعيداً: «أنت أصبحت شريكاً، وأنا حصلت على مال كثير. لقد عقدنا اتفاقية».

أخذت تبحث في حقيبتها، متلهفة إلى منديل ورقي، شاعرة بأن دموعها على وشك الانهمار، راجية أن يحوّل ذكر المال انتباهه بعيداً عن علاقتهما إلى طريق أكثر أماناً. وقد حدث ذلك.

- نعم، صحيح ما تقولينه. وبالمناسبة، لماذا تحتاجين إلى ثلاثين ألف دولار؟

تجنب النظر إليها وهو يغلق الباب خلفه ويتبعها إلى السيارة.

- فلندع هذا الأمر. إنه ليس مهماً الآن.

وجاهدت للتحكم في نفسها وقد أدركت أن هذه الأمسية ستكون الأطول في حياتها.

بدا التوتر البالغ عليه، وسرّها أن يضع في المسجل آخر أغنية، متجنباً بذلك الحديث، وهما يندفعان في الطريق.

تساءلت عما أغضبه. . . فهي لم تذكر سوى الوقائع. فقد عقدا اتفاقية بناءً على رغبته، وتشاركا لحظات جميلة معاً، لكن ذلك كله سينتهي عندما يصبح شريكاً لأبيه. وحسب ما تراه، كل شيء جاء لمصلحته. ليس هو الذي بلغت به الحماقة حد الوقوع في حبها أثناء ذلك. إذا كان هناك من سيحزن، فهو هي. وطالما هي حية ترزق، لن تفهم الرجال أبداً.

- لقد وصلنا.

قال ذلك بحدة واختصار. لا فائدة من إطالة الحديث حين يكون الشخص قد وصل إلى تحقيق كل أحلامه. فيا له من محظوظ!

أسبغت على ملامحها قناعاً من التهذيب وهو يفتح باب السيارة لها، وقالت: «حظاً سعيداً الليلة».

لم يرتجف صوتها رغم أن قلبها كان يتحطم لفكرة فقدانها له.

- شكراً، دعينا، نحن الإثنين، نأمل في الحصول على ما نريد.

وحدّق إليها بنظرة أطول قليلاً من المعتاد قبل أن يقودها إلى المصعد ومن ثم إلى سطح المبنى حيث الشقة التي يسكن فيها أبوه حالياً.

عندما كان المصعد يصعد بهما، تذكرت حين صعد بهما نفس المصعد إلى الطابق الخامس والعشرين حيث مكتبه. كانت، حينذاك، في نفس توترها الآن، ولكن لسبب مختلف. الطريقة التي كان ماثيو يقف بها في الجانب الآخر من المصعد ويداه في جيبه، لم يفسح مجالاً لأي أمل يذكر.

قال بصوت منخفض أجفلها: «عندما تنتهي هذه الاتفاقية، دعينا...».

وإذا بباب المصعد ينفتح ويبدو أبوه جيف متألقاً بملابسه الرسمية وهو يبتسم لهما: «عظيم أن أراك، يا ولدي. كما أنك تبدين في منتهى الجمال، يا كارا. ماذا فعل هذا الشاب لكي يستحق فتاة مثلك؟»

وضرب ابنه على ذراعه مازحاً. فكرت في أن ماثيو حاول أن يشتريها لكي يقنع أباه بأن يجعله شريكاً، ولكن الطريقة التي حملق ماثيو فيها ملأتها خوفاً من أن تكون فكرت في ذلك بصوت مرتفع، لكن ماثيو أجاب: «كنت محظوظاً فقط، يا أبي. ماذا يجري هناك؟»

- كل شيء في وقته، يا ولدي. كل شيء في وقته. هيا أدخلا واعتبرا البيت بيتكما.

وغمزهما الأب بعينيه قبل أن يبتعد.

تمتم ماثيو يقول ولورنا تتقدم نحوهما مختالة: «آمل ذلك».

- حسناً، حسناً، ذلك هو ابن زوجي الحبيب، تعال وسلّم على ماما.

ولم يتناسب صوتها المتكلف مع البرودة التي ومضت فجأة في عينيها الزرقاوين. وكادت كارا تتراجع عندما ألقت الشقراء الهادئة تحية على ماثيو أبعد من أن تكون عائلية، ولم تكن كارا قد قابلتها

سوى مرة واحدة، وبشكل مختصر، وذلك في حفلة عشاء منذ أشهر. ولكن تكد المرأة، حينذاك، تلقي عليها أكثر من نظرة واحدة. ولهذا دهشت وهذه تلتفت إليها، قائلة: «آه، أليست هذه لارا الصغيرة الحلوة؟ إن جيف يتغنى بمديحك طوال الوقت».

ومدت إليها يداً مرصعة بالمجوهرات وكأنها تتوقع منها أن تنحني فوقها.

- إسمي كارا، في الواقع. كيف حالك؟

لولا أنها كانت قررت أن تتمسك بالتهذيب، لضربت يد هذه المرأة تبعدها عندما استقرت على ذراع ماثيو بشكل متملّك.

- حسن جداً، يا عزيزتي، فأنا أنتظر بفارغ الصبر إعلاناً كبيراً هذه الليلة أرجو أن يعجبك.

ورمقت ماثيو بنظرة ذات معنى، ثم ابتعدت بقوامها الطويل النحيف وثوبها المذهل الذي لا بد أنه كلّفها مبلغاً يساوي ما تكسبه كارا في شهر.

- يا إلهي، كم أكره تلك المرأة.

لفظ هذه الكلمات بغضب وهو يحملق في ظهر المرأة بعينين ناريتين.

- لماذا لم تكن معنا في تلك العطلة الأسبوعية عند نهر «كينغ ريفر»؟

لم يكن الجواب يهم كارا، لكنها كانت فقط تريد أن تتحدث مرة أخرى مع ماثيو.

- ربما كانت مع آخر مرافق استأجرته. من يعلم؟ من يهتم؟ كل ما أتمناه هو أن ينتبه أبي إليها. إذا كنت أكره شيئاً، فهو المرأة التي تخدع رجلها.

جذب هذا انتباهها. ماذا سيظن بها لو أنها أخبرته بالحقيقة في هذه اللحظة؟ بأنها لم تكن تهتم بالمال منذ البداية، وأنها قبلت بهذه الاتفاقية السخيفة لأجل سالي أولاً، وفيما بعد لأجل نفسها؟ لكنها لم تشأ الحديث عن هذا حالياً، مفضّلة أن ترد إليه تهكمه:

- وماذا بالنسبة إلى رجل يخدع أباه؟ هل لا بأس بذلك؟

تعلقت هذه الكلمات في الصمت الذي ساد بينهما. وللحظة، تمنت لو تستعيد ما قالته. وعلى كل حال، كانت هذه هي الحقيقة وقد تعبت من التمثيل.

ضاقت عيناه وبدا الغضب في توتر عضلات رقبته: «قلت لك من قبل أن لا تحققي معي في هذا الشأن. إن لديّ أسبابي الخاصة».

ثم دار على عقبيه وابتعد عنها.

نعم... أسبابه الخاصة الأنانية. والسبب الرئيسي هو الحصول على الشراكة.

نعم، لقد تذكرت حين طلب منها أن لا تحقق معه. وبدا ذلك وكأنه حدث منذ حياة كاملة وليس من عدة أشهر فقط. وأخذت تنظر إليه مستغرقاً في حديث طويل مع أبيه في آخر القاعة، وعاهدت نفسها أن تخبره بالحقيقة، كل الحقيقة. وفي تلك اللحظة، تنحنح جيف بيرن.

- سيداتي سادتي. هل لي أن أحظى بانتباهكم؟

ساد السكون وتوجهت الأعين إليه.

- كما تعلمون جميعاً، شركة بيرن وشركاه أصبح لديها مكان شاغر لشريك جديد وذلك منذ عدة أشهر، وهذه الليلة يسعدني أن أعلن أن المكان ذاك قد امتلأ الآن.

وامتلأت القاعة بالحماسة.

- الرجل الذي ملأ المكان قد جلب إلى الشركة عملاء جدداً كثيرين مثبتاً لي أنه يملك المزايا المطلوبة للنجاح في هذا العمل.

نظرت إلى ماثيو الذي كان انتقل ليقف بجانب نافذة من الأرض إلى السقف تطل على جسر المرفأ المذهل الذي كان متألقاً بالأنوار وكأنه علاّقة ثياب عملاقة.

أحست بالإثارة التي تتملكه وقد توترت شفتاه.

- وهكذا، دون إطالة في الكلام، أرجوكم أن ترحّبوا بالشريك الجديد في الشركة، ستيف روكويل.

ملأ جوّ القاعة تصفيق متفرق وشهقات. ورأت، وقد تملكها الذعر، حبيبها السابق ستيف يخرج من المطبخ بخطوات متئدة ويسير ليصافح جيف وعلى وجهه ابتسامة التمساح المعتادة. ثم، وكأنما بالتصوير البطيء رأت ماثيو يترنح، مصدوماً، إلى الخلف، ثم يميل إلى النافذة فاغراً فاه.

توجهت إليه في الوقت الذي ملأ جوّ القاعة فيه كلمات وألحان الأغنية (لأنه فتى كفء تماماً). أخذت الكوب من يد ماثيو ووضعته على منضدة قريبة ثم همست في أذنه: «دعنا نخرج من هنا».

نظر إليها وكأنه يراها لأول مرة. لقد أغلق فمه أخيراً، على الأقل، وتأبطت ذراعه: «هيا بنا! مهما كان تفكيرك في ما عليك أن تفعله، الأمر لا يستحق ذلك».

مزق التعبير الذي بدا في وجهه، قلبها. كان مزيجاً من الكرامة المجروحة والغضب والشعور بالغدر: «هذا سهل عليك قوله. لست أنت من رفسه أبوه لتوّه على أسنانه دون أن يكون لديه من اللياقة ما يجعله يخبره بذلك أولاً».

فقالت تواسيه بصوت منخفض: «أنا أعلم صعوبة هذا الموقف،

ولكن فكر لحظة فقط. عليك أن تواجه هؤلاء الناس في العمل غداً، ولا يهم مقدار رغبتك في أن تلكم ستيف، إنس ذلك. كيفية مواجهتك للأمر الآن هي التي ستترك التأثير الدائم، خصوصاً على أبيك».

تنفس عدة مرات، بينما ابتدأت ملامح وجهه المتوترة تسترخي ببطء: «ومن الذي يهتم مثقال ذرة في ما يفكر أبي فيه؟»

- أنت، وإلا ما كنت فكرت في مثل خطتنا هذه لكي تضمن الشراكة معه. إن قضاء ستة أشهر في توجيهي وقيادتي ليس نزهة سارة، كما تعلم.

نظر إليها بشبه ابتسامة: «آه، أنا لا أعلم هذا. توجيهك كان أكثر متعة بكثير مما كنت أتوقع».

قفز قلبها وهي ترى ومضة من الدفء تعود إلى عينيه. ردّت إليه ابتسامته: «لماذا لا تسير إليهما فتنهي ستيف وتجعل أباك يرى أن ماثيو بيرن هو حتماً يصلح لأن يكون شريكاً في المرة القادمة».

فزمجر: «لا تضغطي عليّ. أنا أفضل أن أصافح التمساح على أن أصافح روكويل».

تصوّرت ذلك فأغرقت في الضحك.

- ما الذي يضحكك؟

فمسحت عينيها: «لأنني أيضاً، كنت أفكر في شيء مشابه، وهذا كل شيء. ألا تظن أن ابتسامته كابتسامة التمساح؟»

نظر إلى ناحية ستيف: «هذا مؤكد. لكنك بقيت سنوات تخرجين معه، هل جلده يماثل ابتسامته في «التمسحة»؟»

رفعت حاجبيها فأسرع يقول: «غيرت رأيي. لا تجيبي على هذا السؤال».

عجبت كيف انطفأ غضبه. إنه لم يخسر حلمه فقط، وإنما سلبه إياه شخص يكرهه. رأته يتصلّب في وقفته فالتفتت. رأت ستيف قادماً نحوهما.

مدّ ماثيو يده: «تهانيّ يا روكويل».

- لا مشاعر غير ودّية لديك، أليس كذلك يا بيرن؟

تصافح الرجلان، ومع ذلك تملكها شعور غريزي بأن اللعبة ابتدأت لتوّها.

- عمل جيد، يا ستيف.

ما دام ماثيو استطاع أن يفعلها، هي بإمكانها ذلك، أيضاً. انتفخ صدر ستيف كبرياء. بدا وكأنه يساوي مليون دولاراً ببذلة العشاء الأنيقة، وكان يعلم ذلك. وعندما صافحته قال لها: «شكراً يا حلوتي. علينا أن نجلس جميعاً معاً أحياناً».

وقبل أن تستطيع الحركة، رمقها بنظرة سريعة وابتعد. وسمعت هي صوت ماثيو يتمتم: «فوق جثتي. ما زال في نفسه شيء من حبك».

- أتظن ذلك؟

ورفرفت بأهدابها بغنج، لكي تجعله يضحك مرة أخرى، فأدار عينيه: «يا للنساء... دعيني أذهب لتبادل كلمة سريعة مع أبي ثم أوافيك إلى المصعد. موافقة؟»

نظرت إليه بزهو وهو يسير نحو مجموعة من الرجال معهم والده ثم ينخرط معهم في حديثهم. ما فعله لا يفعله سوى الرجال الكبار الناضجين. وازداد حبها له لهذا، وعندما رأت لورنا تنضم إليهم، تعهدت بسرعة أن تخبر ماثيو بالحقيقة. إنه يكره الخداع ولهذا ستخبره، مهما كلف الأمر.

إنه لن يتحدث إليك مرة أخرى أبداً، إنك ستخسرينه مرة أخرى.

حدثتها نفسها بذلك فغالبت دموعها. غداً ستفعل ذلك. من المؤكد أن ليس في قضائها ليلة أخرى معه أية أنانية.

* * *

تنفست كارا بعمق عدة مرات تثبت نفسها، ثم قرعت باب المكتب.

- أدخل.

دفعت باب مكتب ماثيو ودخلت.

- هيه، السيدة التي كنت أفكر فيها بالضبط.

قال هذا وهو يدور حول المكتب مرحباً بها: «ما أجمل رائحتك».

تخلصت منه، محاولة أن تضع مسافة بينهما، وإلا لما استطاعت أن تتكلم: «هل لديك دقيقة فراغ؟»

- دوماً لدي وقت فراغ لأجلك. خصوصاً في هذا المكتب...

ازداد احمرار وجنتيها وهي تتنحنح لتقول: «علينا أن نتحدث».

تلاشت ابتسامته: «آه... عندما تقول المرأة (علينا أن نتحدث) فذلك يعني، عادة، (أنا التي أتحدث وعليك أنت أن تصغي حتماً). هل هذا صحيح؟»

فهزت رأسها: «كلا، رغم أن لا ضرر سيصيبك إذا أنت أصغيت، من باب التغيير».

رفع حاجبيه: «حسناً، إجلسي وتكلمي. كلّي آذان».

هيا، تكلمي... أخبريه... يمكنك أن تفعلي ذلك... وعندما فتحت فمها لتتكلم، رن جرس تليفونه.

- المعذرة.

ومدّ يده إلى التليفون وأخذ يتكلم بلهجة الأمر والغيظ في وجهه.

زفرت، ولم تكن تعلم أنها كانت تحبس أنفاسها. هذا سيجعل الأمر أصعب مما كانت تظن. وكانت اختارت مكتبه لتخبره بالحقيقة لسبب محدّد. سيكونان بحاجة إلى أن يتكلما بصوت منخفض وكانت الفرصة ضئيلة في أن يلهيها بمواهبه الجسدية أثناء ساعات الدوام في المكتب.

كان ذلك جبناً ولكن ليس أمامها خيار آخر.

لأنها إذا أخبرته في أي مكان آخر، وحاول هو أن يغير رأيها بالنسبة إلى الاستمرار في الاتفاقية، فهي تشك في إمكانها مقاومته. ذلك أنه ماهر جداً بالإقناع، حين يحاول.

خبط التليفون مكانه ما أجفلها: «آسف. عليّ أن أرى شخصاً لمدة دقيقة. هل تمانعين في الانتظار؟»

- لا، أبداً. سأخرج لأتناول فنجان قهوة.

- شكراً. هذا لن يستغرق أكثر من عشر دقائق. عندما تعودين أدخلي مباشرة إلى المكتب.

توقف لحظة يبحث في رزمة أوراق على مكتبه وانشغال البال يبدو على وجهه.

عندما فتحت الباب، مرتاحة لإرجاء حديثهما، قال: «أنا مسرور لحضورك اليوم، أنا موافق على أن الوقت قد حان للتكلم معاً».

إلتفتت إليه فرأته يحدّق إليها والغموض يكسو ملامحه، ما حبس أنفاسها. أومأت باسمة، متلهفة فجأة إلى مغادرة جوّ مكتبه الخانق.

ما الذي كانت تظنه؟ لا يهم متى وأين تخبره بالحقيقة، فلذلك لن يكون سهلاً على كل حال.

تمنت أن تهدئ القهوة الثقيلة من توتر أعصابها، تجاهلت

الشكوك التي تتملكها واستطاعت أن تتصفح آخر عدد من مجلة تانيا أثناء تناولها القهوة، على الأقل هناك أناس لديهم حياة معقدة كحياتها... حتى ولو كانت نصف هذه القصص تختلقها إشاعات الصحف.

نظرت إلى ساعتها فأدهشها أن العشر دقائق مرّت. لقد حان الوقت لمواجهة العاصفة.

على كل حال، عندما قرعت باب مكتب ماثيو بخفة ودخلت، تمنت لو أنها تناولت ما هو أقوى من القهوة ليقوّيها. كان مستغرقاً في الحديث مع ستيف، وكان واضحاً ما كانا يتحدثان عنه حين طرق سمعها كلمات (ثلاثون ألف دولار) و (إنها استحقتها).

أطلقت صرخة مختنقة فقفز ماثيو واقفاً، وقد جمّدت نظرته المذعورة قلبها: «يمكنني أن أشرح الأمر، الحقيقة هي...».

- الحقيقة؟

اندفعت كارا إلى مكتبه وتوقفت قبل وصولها إلى المكتب بخطوتين، وهي تتابع: «إنك لن تعرف الحقيقة حتى ولو قفزت أمامك ونطحتك، دعني أخبرك ببعض الحقائق...».

وكان صوتها قد ارتفع ثائراً على الرغم منها.

- قفي عندك.

قال هذا بهدوء فتبعت نظرته التي كانت مسمّرة على أبيه الذي كان دخل المكتب لتوّه.

- لا.

وشبكت ذراعيها، وهي تتمنى لو بإمكانها أن تحد من الألم الذي في قلبها... قلبها المجروح هذا الذي يوشك أن ينفجر فيشق صدرها إذا بقي يخفق بهذا الشكل العنيف الغاضب. لم تعد تهتم

لشيء، كل الشكوك والخداع وآلام الأشهر الماضية تجمعت في هذه المواجهة.

- أتريد الحقيقة يا ماثيو؟ الحقيقة، كل الحقيقة ولا شيء سوى الحقيقة؟ إذن فاسمع.

www.elromancia.com

١٢ - بعاد مرير

- لا تفعلي هذا يا كارا.

كان صوت ماثيو مجرداً من كل إحساس رغم أن الخوف أوشك أن يجعله يتلعثم... الخوف غير المعقول من أن تحدث هذه المواجهة أمام أبيه وتجعله يخسر المرأة التي تعني له كل شيء.

- لا تخبرني بما عليّ أن أفعل.

قالت هذا بحدة بالغة وهي تحملق فيه.

- ليس الأمر كما بدا لك... كنت أنا وستيف نتباحث...

وسكت فجأة وهو يرى دموعاً في عينيها. حتى في هذا الوقت غير المناسب، لاحظ مبلغ ما تبدو عليه من جمال، بينما الدموع تجعل عينيها الخضراوين تتألقان. انقبض قلبه وهو يدرك مبلغ ما تعني له. وفي لحظة جنونية كهذه، خطر بباله أنه ربما يحبها فعلاً. ما أعظم هذا!

حملقت كارا في ستيف الذي لم ينطق بكلمة منذ دخولها، ثم قالت لماثيو بصوت ثابت جعل البرودة تسري في عروقه: «هل أصبحتما صديقين حميمين الآن تتبادلان القصص؟».

هز ماثيو رأسه: «لا تكوني سخيفة، كنت...».

- سخيفة؟ حسناً، من المضحك أن يأتي هذا القول منك. لا يمكن أن يكون هذا أسخف من أن تدفع لامرأة مالاً كي تتظاهر بأنها حبيبتك فقط لكي تفوز بمركز الشريك في شركة أبيك.

ساد صمت صاعق، حدق إليها مذعوراً وهو يسمع، دون أن يصدق تماماً، أنها قالت ذلك حقاً. وتجاوزتها نظراته إلى أبيه الذي كان واقفاً عند العتبة دون أن يعقل شيئاً حتى هذه اللحظة التي احمر فيها وجهه وهو يخطو إلى الداخل ويستلم الموقف: «ستيف، أخرج من فضلك. أريد أن أتفاهم مع ابني على بعض الأمور».

وكأنما كان المشهد يحدث بالتصوير البطيء، أخذ ماثيو ينظر إلى ستيف وهو يهز رأسه ويغادر المكتب بينما استعدت كارا لتتبعه.

- أريدك أن تبقي، يا كارا.

رغم أن أباه تكلم بنعومة، إلا أن ماثيو كان يعرف تلك اللهجة. إنها لم تكن طلباً بل أمراً. والغريب أن كارا أدركت ذلك هي أيضاً لأنها توقفت في منتصف سيرها، وهي تقول وعيناها مسمرتان على والده بحزم: «لم يبق لدي ما أقوله. فهذا بينك وبينه».

وأشارت إلى ماثيو بهزة من رأسها حتى دون أن تنظر باتجاهه.

- أعلم هذا، لكنك شريكة في ذلك أيضاً. إبقي من فضلك.

وسار أبوه إليها واحتضنها بين ذراعيه. وكان هذا بالضبط ما كان ماثيو يريد أن يفعله في تلك اللحظة لكنه لم يستطع. فإن الطريقة التي سبق ونظرت بها إليه، جعلته يشك في أنه سيتمكن من عناقها مرة أخرى.

ما الذي فعله؟

كلمات أبيه التالية لم تفعل سوى أن قوّت يقينه بأنه لم يخسر كارا فقط، بل أيضاً احترام أبيه له.

- لا أستطيع أن أصدق أن ابناً لي يحاول أن يشتري سبيله إلى الترقية، هذا عدا استغلاله امرأة جميلة لهذا الأمر.

وهز أبوه رأسه قبل أن يسمّر ماثيو بنظرة فولاذية: «ما هي لعبتك

بحق جهنم؟»

بقي ماثيو لحظة لا يستطيع الجواب، وعندما التفتت هي إليه تواجهه مرة أخرى، ورأى دموعها المنهمرة على خديها، شعر لذلك بمثل لكمة على معدته، سرعة، وحدّة، وألم. وانحبست أنفاسه.

بقي لحظة بين زوجين من الأعين مصوّبة إليه، الزوج الأول بلون عينيه الأزرق ويلمع فيه الإجرام، أما الثاني فأخضر لامع يبدو الألم في أعماقه. لم يكن هناك سوى سبيل واحد للخروج من هذا المأزق... وكما قالت، حان الوقت لإظهار الحقيقة... كل الحقيقة.

وقف ودنا من أبيه: «أنا أعلم كيف يبدو هذا الأمر، لكن لي أسبابي».

فرفع أبوه يديه: «قف مكانك. ما فعلته ليس له مبرر، سواء بأسباب مقنعة أم لا. يا إلهي، ما الذي كنت تفكر فيه؟ تدفع نقوداً لكارا لتكون حبيبتك؟ وكل ذلك لأجل مشاركة لعينة؟»

هز ماثيو رأسه وقال: «ليس لأجل ذلك فقط».

- ماذا؟

إذا لم يتكلم الآن فلن يتكلم بعد ذلك أبداً. كان على ماثيو أن يقول كل شيء إذا كان يريد أن تخرج من هذا المأزق بأقل قدر من الكرامة.

- لم يكن الأمر فقط لأصبح شريكاً، يا أبي، وإنما هو عني وعنك. عن نظرتك إليّ كابن لك. عن رضائك عني.

سكت لحظة، خائفاً من أنه إذا لم يكشف عن مشاعره الآن، فلن يفعل ذلك أبداً: «كل ما كنت أريده، هو رضاؤك عني. أن تقدّر إنجازاتي...».

مظهر الذعر الذي بدا على ملامح أبيه كان يوازي الصدمة التي بدت على وجه كارا...

- لكنني راضٍ عنك، يا ولدي. ودوماً كنت فخوراً لك.

- لا، يا أبي. كنت تتحدث إليّ أحياناً عن العمل، ولكن متى كانت آخر مرة اهتممت بي فيها حقاً، غير تلك التي عنفتني فيها لأجل حياتي الخاصة؟

أخذ أبوه يحدق إليه صامتاً مستغرباً، وتابع ماثيو: «منذ رحيل أمي، شعرت بنفسي غريباً، وكأنني عبء عليك. كانت زوجاتك أكثر أهمية لديك مني. أتريد أن تعلم لماذا كانت المشاركة في الشركة بمثل هذه الأهمية اللعينة لدي؟ لأنني كنت من الحماقة بحيث ظننت أن ذلك يقربنا من بعضنا البعض، وهذا غباء، أليس كذلك؟»

وغاص في أقرب كرسي، واضعاً رأسه بين يديه، وقد بدا مستنزفاً للغاية.

وضع الأب يده على كتف ابنه: «ولدي؟»

- دع الأمر الآن، يا أبي، فأنا بحاجة إلى التحدث مع كارا... وحدنا.

اشتدت قبضة الأب على كتف ابنه: «آسف لأنني جعلتك تشعر بأنك الثاني في الأفضلية لدي، يا ماثيو. لم يكن ذلك قصدي قط. كنت فقط أريد لك الأفضل وهذا يعني إنشاء عمل جيد لكي أعدّ لك مستقبلاً ثابتاً. أما بالنسبة إلى أمك فإنه لا يمر يوم دون أن أعنّف نفسي لنبذي أجمل شيء حدث لي في حياتي...».

اختنق صوته فرفع ماثيو نظره إليه. كانت عينا أبيه مغرورقتين بالدموع، ولأول مرة في حياته، يرى ماثيو أباه يبكي فأثّر هذا فيه أكثر من أي شيء آخر.

- أبي، أنا...

- لا، دعني أنهي كلامي. أنا أعترف بأنني لم أكن أحسن أب في العالم، لكن إلقائي بنفسي في العمل كان هو الشيء الوحيد الذي كان يساعدني على مواجهة ذلك. وأن أمضي معك بعض الوقت كان مستحيلاً لشدّة شبهك بها. في كل مرة كنت تنظر فيها إليّ كنت أرى عينيها، وألمها، فيعود قلبي محطماً من جديد.

تخلل شعره الذي خطه الشيب، بيده: «أنا أعلم أن هذا عذر ضعيف، ولكن هكذا كان شعوري. وعندما أصبحت أنت راشداً، كان قد حدث الانفصال بيننا، ولم يسمح لي قلبي قط بأن أطرق الموضوع. هل يمكنك أن تغفر لي؟»

وقف ماثيو وفتح ذراعيه. لأول مرة منذ كان في السادسة من عمره، يحتضنه أبوه. لم يكن ذلك مجرد تربيت على الظهر أو تشعيث للشعر، بل كان عناقاً حقيقياً. وانزاح حمل عن كتفيه وهو يحاول أن يبتلع غصة في حلقه: «لا شيء هناك أغفره لك، يا أبي. نحن الإثنان، فاشلان في الصراحة وهذا كل شيء».

كان صوته يرتجف، حتى في أذنيه. وكاد يخدع نفسه بأن كل شيء على ما يرام، حتى نظر من فوق كتف أبيه فرأى كارا تحدّق إليه. وفجأة، عاد الحمل إلى كتفيه. وهذا المرة كان أثقل بعشرة أضعاف.

لا بد أن أباه أحس بتوتر كتفيه، لأنه تركه متراجعاً وفي عينيه ومضة تأمل: «يمكننا أن نتحدث فيما بعد، أما الآن فهنا سيدة شابة تستحق منك الاعتذار أكثر مني».

نظر إلى أبيه يمنح كارا نظرة أبوية حنونة، وهو يقول لها: «لا تسامحي معه بسهولة. إنه يستحق كل ما يحدث له».

وغادر المكتب وهو يبتسم لهما بمحبة بالغة.

حدقت كارا إلى ماثيو بحيرة بالغة. لم تستطع أن تصدق أنه لم يفكر بما يكفي في صداقتهما لكي يخبرها بكل هذه الأمور عن أبيه. هذا يكفي لكي يتوقف أملها في أن يقع في حبها ويبادلها مشاعرها. أثناء كل مواعيدهما، وعشاءاتهما، وفيما بعد جلساتهما الصباحية وهما يتحدثان... لم يهمس لها بكلمة عن الحقيقة. لقد جرحها هذا أكثر من كل ما يمكن أن يقال لها.

كل ما كانت تعني له أنها وسيلته إلى إنهاء عمل معيّن، فهل كانت الاتفاقية تتضمن مشاعر الحب؟

وقطع عليها أفكارها صوته المنخفض: «لماذا لا نجلس ونتحدث؟»

حدقت إليه وقد حيّرها أنه يبدو بهذا الهدوء: «لا أظن ذلك. لم يبق الكثير ليقال، أليس كذلك؟ إنك أقمت السلام مع أبيك، فماذا بقي؟ لقد انتهت الاتفاقية».

وفي لحظة، تغيّرت ملامحه من حزن بالغ إلى غضب هادئ: «هذا إذن ما جئت اليوم للحديث عنه؟ الاتفاقية الغرامية؟ بالنسبة إليك الأمر كله يعود إلى المال، أليس كذلك؟»

عادت تغالب دموعها، واستطاعت أن تقول بهدوء: «مهما يكن، لم يعد هذا يهمني».

- حسناً، هذا يهمني أنا.

قال هذا بعنف وهو يجلس خلف مكتبه ويفتح الدرج العلوي. ليتناول دفتراً صغيراً ويكتب عليه شيئاً بسرعة ثم ينتزع الورقة منه. وتملكها الذعر وهي تدرك طبيعة ما يفعل.

- هاك الشيك. إنك اكتسبته وهو حقك.

ودس الشيك في يدها، وسار نحو الباب وفتحه لها. اعتصرت قلبها يد ثلجية، مهددة بتمزيقه إلى مليون قطعة. رفعت بصرها إليه لكنه رفض مقابلة نظراتها. وعندما حدّقت إلى الشيك في يدها سبح رقم المبلغ أمام عينيها. هل صدّق حقاً أنها وصلت معه إلى هذا الحد لأجل ثلاثين ألف دولار؟ لقد كشفت لهذا الرجل من نفسها أكثر مما كشفت لأي رجل آخر، لكنه لم يفهم.

سارت إلى الباب بخطوات غير ثابتة وتوقفت أمامه: «خذ... هذا لك أنت».

وأخذت تمزق الشيك إلى قطع صغيرة ألقتها على الأرض عندما تابع هو تجاهلها، فتناثرت بشكل فوضوي... مثل أحلامها بالضبط... كما أخذت تفكر وهي تمرّ به خارجة لآخر مرة.

صفق ماثيو الباب خلفها بعنف يهز الجدران. الحمد لله أن مكتبه غير مقسم بحواجز زجاجية كمكاتب بعض المحامين، وإلا لتهشمت في ثانية. فضلاً عن أن هذا كان سيمنح الآخرين نظرة شاملة عما يحدث هنا.

حدق إلى قطع الشيك عند قدميه. ولأمر ما، أشعرته بالخوف. كان يظن أنه كوّن عنها صورة ذهنية كاملة، وأنها جاءت اليوم لتنهي الاتفاقية بعد فشله في أن يصبح شريكاً في الشركة الليلة الماضية. ويبدو أنها ظنت أنها استحقت أجرها المالي بالرغم من أنه لم يحصل على ما يريد.

يا ليتها كانت تعلم أن تمثيلها للدور كان كلما طال كلما قلّت أهمية مشاركته لأبيه، بالنسبة إليه. فقد كانت هي السبب الذي دفعه إلى الاستمرار في هذه الاتفاقية الغبية، كما أن رغبته الجارفة بها محت أي مظهر للتعقل الذي كان يملكه يوماً ما.

لقد انتهى من كونه محامياً هادئاً بارعاً... ليمثّل دور الأحمق المغفّل!

نعم، إنها حتماً استغلته بصفته مغفلاً. لقد ابتدأ يعتقد بأنها ربما لديها شعور ما نحوه، دون اعتبار للاتفاقية اللعينة تلك. ولكن لا. لقد تحوّلت اليوم إلى محاربة.

إذا كان المال هو كل ما تريده، لماذا مزقت الشيك إذن؟ لم يفهم شيئاً. وكلما ازداد تفكيراً في الأمر كلما ازداد تشوّشاً. المفروض أن يكون مغتبطاً الآن، فقد سوّى الأمور، أخيراً، بينه وبين أبيه ولم يعد بحاجة إلى التظاهر بحب كارا بعد الآن...

لكنه، بدلاً من الشعور بأنه أصبح مارداً يبلغ ثلاثة أمتار طولاً ويحقق الأمنيات، إذا به يشعر أنه كعامل في منجم أصبح تحت ثلاثة أمتار من أنقاض المنجم. لم يعد عليه أن يتظاهر بحبها بعد الآن، وهذا يعني أن عليه أن يخبرها الحقيقة. إنه يحبها، وربما لم يتوقف عن حبها طوال تلك السنوات. إنها المرأة الوحيدة التي جعلته يشعر بالإكتمال، ما جعله يشعر الآن بروحه تنشق إلى نصفين.

لقد رحلت، أو بالأصح هو الذي طردها. ودون أن يخبرها بالحقيقة. لقد أفلت زمام الأمور مرة أخرى... تماماً كما فعل في عيد ميلادها الثامن عشر. ألن يتعلّم أبداً؟

لندفع للعمل، فهرع إلى المصعد. إذا كان محظوظاً، سيجدها في الردهة. وأخذ يضرب أرض المصعد بقدمه بفروغ صبر، عندما أخذ هذا يهبط. حاول أن يستظهر ما سيقول لها، ليجد الكلمات تعوزه بشكل غريب. لأول مرة تهجره بديهته. وأخذ يطلب من الله أن تعود إليه مهارته في النقاش في الوقت المناسب.

عندما انفتح باب المصعد، كانت لديه فكرة غامضة عما سيقوله.

وعلى كل حال، إفصاحه عن حبه التصق في حلقه عندما وجد كارا بين ذراعي ستيف روكويل.

إذن، لقد كان على صواب رغم كل شيء. لقد اختارت لنفسها، ولم يكن هو المختار. وعاد متعثراً إلى المصعد، ليضغط الزر إلى الطابق الخامس والعشرين عدة مرات قبل أن يضغط الزر المنشود وهو ينعت نفسه بالحماقة وسهولة الانخداع.

* * *

جرّت كارا قدميها إلى المقهى القريب وطلبت فنجان القهوة الثاني خلال أقل من ساعة. وماذا يهم إذا أرقتها القهوة طوال الليل؟ إنها لا تظن أنها ستتمكن من النوم على كل حال، بعد تلك النهاية الفاجعة لعلاقتها بماثيو.

علاقة؟ ومن تراها تخدع؟ لقد خدعت نفسها بالاعتقاد بأن ما كان بينهما هو علاقة خاصة بينما الواقع أنه كان مجرد مزحة كبيرة. والمضحك أنها كانت بطلة تلك المزحة، رغم أن الضحك كان أبعد شيء عن ذهنها.

لقد فهمت، على الأقل، ما كان يجري في مكتب ماثيو. لقد اصطدمت بستيف في الردهة عند خروجها، ورغم أنه كان آخر شخص توقعت منه المواساة، فقد احتضنها وأخبرها بدوره بما حدث. فقد اشتبه في أن ماثيو كان يهدف إلى شيء ما، وواجهه بذلك، مهدداً بالذهاب إلى جيف إذا لم يعترف له ماثيو بالحقيقة. ومن المدهش أن ماثيو أخبره بالحقيقة عن الاتفاقية، وكان ذلك في الوقت الذي عادت هي فيه إلى المكتب.

مهما يكن ما أخبرها به ستيف، فهو لم يغيّر الواقع. لقد دفع ماثيو لها أجراً لكي تمثل دور الحبيبة، ففعلت. لكنها وقعت في حبه

بينما هو لم يقع، وانتهت الحكاية. حتى عندما أفهمته في النهاية أنها لم تفعل ذلك لأجل المال، تجاهل ذلك. وعلى كل حال، إذا كان شعر بأي شيء عدا الانجذاب الجسدي نحوها، لكان لحق بها عندما ألقت بالشيك ممزقاً عند قدميه.

لكنه لم يفعل، وهكذا انتهى الأمر حقاً بينهما، حان الوقت لجمع شتات نفسها والذهاب في سبيلها. كان هناك شيء واحد جيد جاء نتيجة كل هذا، وهو إنقاذ عمل سالي، وقد قامت كارا بدور كبير في ذلك.

أنهت قهوتها، ونهضت واقفة، متلهفة إلى الذهاب إلى بيتها والتنفيس عن مشاعرها.

عندما خرجت من المقهى، رن جرس تليفونها الخليوي، نظرت بحذر إلى شاشة عرض الرقم المتصل. لقد كان ماثيو يتصل بها كثيراً مؤخراً، وهو آخر شخص تريد أن تتكلم معه. وما لبثت أن أدركت، بحزن، أنه ليس هو، وأنه لن يتصل بها أبداً بعد الآن.

والحمد لله أن الرقم الذي ارتسم على الشاشة كان لسالي. وبشعور بالغ بالذنب، ضغطت على زر «التحويل»، لا يمكنها أن تواجه التحدث مع سالي، حالياً، حيث من المحتمل جداً أن تأخذ في سرد كلّ الحكاية القذرة للمرأة الوحيدة في العالم التي تحبها دون شروط. إنها ستتصل بها لاحقاً بعد أن تسيطر على مشاعرها.

انتظرت حتى أشار التليفون إلى رسالة تُركت لها. وعندما أخذت تستمع إليها وهي تسير نحو سيارتها، كادت أن تتعثر في سيرها عند قراءة آخر قسم من رسالة سالي. وفي الواقع، نضحت راحتاها بالعرق للتفكير فيها.

«الاحتفال بتقديم الهدية إلى وكالة «وسيط الزواج»، سيكون ليلة

غد، يا عزيزتي. أريدك مع رجلك الرائع ذاك، أن تكونا موجودين أثناء أخذ الصور النهائية للدعاية. إنكما تبدوان معاً رائعين، وهذا يشكّل دعاية كبرى للوكالة. اتصلي بي لنتحدث عن الملابس. حبي لك. إلى اللقاء).

هاه... الشيء الوحيد الذي يمكنهما، هي ومائيو أن يعلنا عنه هو تعليمات يدوية عن كيفية إعادة الرجال إلى النجم مارس، والنساء إلى النجم فينوس وإبقائهم هناك إلى الأبد.

ماذا عليها أن تفعل الآن؟

١٣ - خسرتُه، وما من امل

لم تكن كارا ناجحة أبداً في إخفاء مشاعرها. ولم يكن وجهها هو فقط كتاباً مفتوحاً، فقد كان لدى سالي دوماً القدرة على تمييز أقل اختلاف في لهجتها أيضاً. ولم تكن هذه الليلة مستثناة. لكنها ربما كانت نتيجة لانفجارها بالبكاء في اللحظة التي أجابت بها سالي التليفون.

وطبعاً، يمكن التنبؤ بأن سالي اندفعت إليها، دوماً كانت موجودة عند الحاجة وكانت كارا تعشق هذا منها. وجفت دموعها أخيراً وأصبحت مستعدة للكلام.

- ما الذي يحدث، يا حبيبتي؟ لم أرك قط بهذا الشكل من قبل؟

الإهتمام الذي كان يبدو في ملامح سالي مزق قلب كارا.

لم تشأ أن تحمّل أمها البديلة عبء القصة القذرة بأكملها، وهكذا قررت بسرعة أن تحدثها بخلاصتها.

- يا لها من فوضى، يا سالي. لقد أصبحت حياتي خراباً.

فحملقت سالي إليها: «لديك عملك الخاص، وبيتك الخاص. وكنت متألقة في الأشهر الأخيرة...».

وسكتت فجأة ثم فرقعت بأصابعها: «آه، الأمر يتعلق بمائيو... أليس كذلك؟»

- نعم، أظنني قمت بعمل بالغ الحماقة.

وأخذت تعبث بحاشية تنورتها، كارهة النطق بالكلمات بصوت

مرتفع.

فأمسكت سالي يدها: «أنت وقعت في غرامه».

وكان ذلك اعترافاً وليس سؤالاً، وتمنت كارا لو أن ذلك غير صحيح، لو كان هذا سؤالاً، لكان هناك كل أنواع الأجوبة والنتائج. لكنه كان واقعاً ولم يكن هناك ما تفعله بهذا الشأن.

وهكذا أومأت قائلة: «أرأيت؟ ألم أقل لك إنه عمل أحمق؟»

اعتصرت سالي يدها: «المعذرة إذا كنت خرقاء في سؤالي، ولكن أليس هذا شيئاً حسناً؟»

- إنه لا يحبني.

ها إنها قالت هذه الكلمات فلم يحدث رعد ولا برق ولم تصبها صاعقة. إنه قلبها فقط الذي تتلته الصدمة منذ اللحظة التي غادرت فيها مكتبه عندما أدركت أخيراً أنه لا يحبها.

رفعت سالي حاجبيها: «هل تمزحين معي؟ الطريقة التي ينظر ذلك الشاب بها إليك فيها كل الحب. إنه يعبدك».

- الحب ليس نزوة يا سالي.

- هذا صحيح، لكن ماثيو يهتم بك كثيراً، لا تنسي أنني أعرف الناس. إن عملي هو التوسط في الزواج.

ذكّرتها سالي بالحكماء القدماء، بتنورتها الفضفاضة هذه ووشاحها الحريري، وأشرق مزاجها لهذه الصورة، وذلك لأول مرة هذا النهار، جالباً ابتسامة إلى وجهها. وقالت: «نعم، لا تذكّريني. مأزقي هذا هو غلطتك منذ البداية. أنت وجهازك الكمبيوتر التافه».

أدارت سالي عينيها: «جهازي الكومبيوتر (التافه)، كما تصفينه بهذا الشكل المهذب، لم يخطئ من قبل».

- لقد أصابه خلل هذه المرة.

ضحكتا... وشعرت كارا بالارتياح البالغ، وهي التي كانت تظن أنها لن تضحك أبداً مرة أخرى، وقالت: «أنا أعلم أن هذا يشكّل عقبة أمام العمل لأجل ليلة غد. ماذا حدث للصور الدعائية؟»

- أريدكما، أن تكونا معاً هناك. لن يبدو الأمر حسناً على الإطلاق إذا انفصل الحبيبان رقم ألف قبل الإحتفال بتقديم الجائزة للوكالة لهذا الانجاز. وربما سيستعيدون الجائزة مني!

وللحظة، لمحت كارا ومضة مكر في عيني سالي، لكنها سرعان ما تلاشت.

- لا يمكنني أن أتصل به، يا سالي، فقد انتهى كل شيء بيننا. وتنهدت وقد عادت الكراهية لهذه النهاية تتملّكها.

- أنا متفهمة، يا حبيبتي، فلا تقلقي. سأفكر في حلّ ما.

واستندت سالي إلى الخلف وأغمضت عينيها وعلى شفتيها شبه ابتسامة. وتمتمت كارا: «هذا ما كنت خائفة منه».

ماذا يمكن أن يكون في ذهن سالي، يا ترى؟ آخر مرة رأت فيها تلك النظرة الماكرة في عينيها كانت أثناء موعد العشاء السريع بينها وبين ماثيو، فماذا كانت نتيجته؟ وأجابتها سالي بابتسامة عريضة.

* * *

لم يستطع ماثيو أن يصدق أنه وافق على ذلك. كانت حياته تتحدر ببطء ولكن بثبات ومع ذلك سمح لسالي بأن تقنعه بالموافقة على حضور الاحتفال بتسليمها جائزتها. لا بأس، دوماً كان يعطف على هذه السيدة الكبيرة في السن. ولكن لماذا كان عليها أن تطلب منه ذلك في وقت كهذا، ما زال يداوي فيه جراحه؟

صورة كارا بين ذارعي ستيف ما زالت تحرق قلبه. كلما أغمض عينيه، كان يراها تمزق قلبه مرة أخرى. تباً لذلك، لماذا لا يستطيع

أن يخرجها من ذهنه؟ لقد سبق له أن أحب نساء ثم تركهن.

وإن تكن الحقيقة هي أن حبه لهن لم يكن صادقاً وكان هو الذي تركهن. لم تستطع امرأة قط أن تستولي على حبه الصادق، ومع ذلك فقد استطاعت كارا ذلك، وبمجهود بسيط. وأثناء ذلك جعلته أحمق. لم يشعر قط بأنه غبي كما شعر أمس حين لحق بها إلى الردهة، وإذا به يراها بين ذراعي صديقها السابق.

أتراها كانت تخدعه طوال الوقت؟ وأنها ما زالت تحب ستيف لكنها تستغله هو؟ ولماذا؟

لا يمكن أن يكون هذا لأجل المال، فهذه فكرة مضحكة. لم يسبق له أن اشترى حب إحداهن. والحمد لله أنه لم يتخذ قط علاقة عابرة مهما كانت أفكار الناس عنه. فقد كان دوماً يخطب ودّ المرأة التي يرجو أن تتطوّر علاقته معها إلى الخطبة فالزواج. لكن هذا لم يحدث قط. حتى هذه المرة، ولكن هذه المرة انتهت، أليس كذلك؟

إذا كان صادقاً مع نفسه، عليه أن يعترف بأن حضوره الاحتفال هذه الليلة لم يكن كله لرغبته في تأدية خدمة لسالي، بعيداً عن رغبة قلبه. فقد كان يرجو، سراً، أن تحضر إليه كارا ثم يتمكنان، بشكل ما، من تسوية الأمور بينهما.

هل قال أحد قط أن خداع الذات غير مفيد للصحة؟؟ إنه على كل حال، سيأتي، رغم كرهه الإصغاء إلى صوت العقل. ثم إن هذه الليلة قد تضع نهاية لكل ما حدث، وبالتالي يمكنه الذهاب في سبيله. ولأمر ما، شعر بمرارة بالغة في فمه لمجرد التفكير في الخروج نهائياً من حياة كارا لكنه ابتلع ذلك على كل حال، وطبع على وجهه ابتسامة متألقة ثم نزل من السيارة.

لطمته رؤيته لها وكأنها قطار شحن يسير بسرعة مليون ميل في

الساعة، سرعة وقسوة وتدميراً. نظر إليها وهي ترتقي درجات دار الأوبرا الأمامية، بمظهرها المتألق في ثوب السهرة الحريري الذي ينسدل نزولاً حتى كاحليها. وكان شعرها مرفوعاً إلى أعلى بشكل خصلات كثيرة غير متماسكة ما جعلها تبدو أطول من طبيعتها. بدت وكأنها إلهة ذهبية تشق طريقها خلال الجموع.

لم يشعر قط من قبل بمثل تلك الأحاسيس فيها التي يشعر بها الآن. إنه يحبها ويريد أن يصرخ بذلك للعالم أجمع. لكنه، بدلاً من ذلك، يقف فاغراً فاه كما يفعل أي غبي مثله.

- لماذا لا تسير وراءها؟

قال هذا صوت هادئ، مردداً صدى أفكاره، فالتفت ليرى سالي تبتسم له. فهز رأسه: «لا أستطيع».

- لا تستطيع أم لا تريد؟

- لا فائدة. إنني نسفت ذلك.

قال هذا وعاد ينظر إلى ظهر كارا متمنياً لو أن ذلك غير صحيح.

- هل تحبها؟

سألته وهي تنظر إليه بحدة ما ذكره بالكلب الحارس إنما بدون زمجرة ولا أنياب حادة.

- نعم، أحبها، وإن كان هذا لا يعني أنه نفعني كثيراً.

وارتفعت المرارة في صوته إلى حد أذهله.

رقّت ملامحها فتساءل لحظة كيف أمكنه مقارنتها بالكلب الحارس منذ ثوانٍ. إن كارا محظوظة لحصولها على امرأة مثل سالي تهتم بها.

وضعت سالي يدها على ظهره ودفعته بشيء من الخشونة: «أخبرها بذلك. إنها الطريقة الوحيدة».

- وماذا لو أنها لم تشأ أن تسمع ذلك؟

رفعت حاجبيها تحملق فيه وكأنه غبي: «وماذا ستخسر؟»

- كل شيء.

تمتم بذلك مدهوشاً وهو يرى هذا صحيحاً. فقد كانت كارا كل شيء بالنسبة إليه. نجاحه، عمله والأوسمة التي نالها؛ كل ذلك لا معنى له بالنسبة إليه إذا لم يحصل عليها.

- هيا، لا تقف هنا بهذا الشكل. افعل شيئاً مفيداً.

وعادت تدفعه إنما بعنف أكثر هذه المرة. وفجأة، شعر وكأن نوراً أضاء في ذهنه. سالي على صواب. ما الذي سيخسره، عدا كبريائه؟

. وانحنى يقول لها: «شكراً يا سالي. أنا مدين لك بهذا».

فاحمر وجهها: «إذهب الآن!».

فركض خلف كارا، راجياً أن لا يكون الأوان قد فات.

* * *

دخلت كارا إلى الردهة، ونظرت حولها. لم تر سالي في أي مكان، هذا عظيم. كانت تأمل في أن تنتهي من هذه المحنة بأسرع ما يمكنها، أما الآن عليها أن تقف وتظهر الاستمتاع، بينما كل ما كانت تشعر بالرغبة في القيام به هو الهرب إلى البيت للاختباء تحت أغطية السرير. وإذا اقترب منها أحد ستصرخ به.

كانت أعصابها متوترة من التظاهر طوال النهار في العمل بأن ليس هناك من شيء في حياتها. وكانت تظن أنها تقنع الآخرين بذلك حتى أخذ أحد عملائها يستفهم منها. كادت تفقد أعصابها حينذاك، لكنها استطاعت أن تتمالك نفسها وتعزو فتور همتها وشحوبها إلى الأنفلونزا.

ولم يحسن من مزاجها اضطرارها إلى ارتداء ملابسها بشكل رسمي لأجل حفلة الليلة، لم تشعر بالرغبة في التألق، بل ازداد شعورها بالتعاسة. كانت ترغب أن تمضي هذه الليلة في بيتها مع فيلم وفنجان كاكاو كما هي عادتها اليومية. لكنها، بدلاً من ذلك، كانت مضطرة إلى الابتسام والتصرف وكأن ليس هناك ما يشغل بالها في العالم.

وللمرة المائة، تساءلت عما ستفعله سالي بالنسبة إلى ماثيو. أتراها رتّبت أمر بديل له؟ وتصورت رجلاً آخر يشبه ماثيو في العالم. عجباً... ما الذي تفكر فيه؟ كان يكفيها سوءاً مواجهتها لماثيو واحد، وهي تشك في أن أي رجل آخر يملك الحذق والمهارة اللذين يملكهما ماثيو. هذا عدا عن وسامة مظهره البالغة، وقامته الرائعة وذكاؤه. لا... هناك الكثير أكثر من هذا... ومع هذا تركته يتسرّب من بين أصابعها. إنه يملك المزايا المتعذر تحديدها التي تجعل أي فتاة تقع في حبه...

قدم إليها نادل مار كوب عصير، فأخذت تدير ساق القدح البلوري بين أصابعها.

- مرحباً، كارا.

كان هو. ورغم أنها لم تستطع أن ترى من هو المتكلم خلفها، أدركت ذلك بكل عصب في كيانها. الصوت العميق، رائحة محلول بعد الحلاقة، الحرارة المنبعثة منه أشبه بنار تزأر. هبط قلبها وتسارع نبضها. لماذا، بعد كل ما جرى بينهما، ما زال تجاوبها معه بهذا الشكل العميق؟

التفتت، محاولة إسباغ الهدوء على ملامحها: «مرحباً... ماذا تفعل هنا؟»

جزء صغير من نفسها كان يرجو أن يسمعه يقول إنه يبحث عنها. لكنه لم يفعل... وأهلكها هذا مرة أخرى.

- طلبت مني سالي أن أساعدها. إنها بحاجة إلى أخذ صور للدعاية للجائزة.

كان يبدو مذهلاً في بذلة السهرة. لماذا لا يبدو مملاً باهتاً ولو مرة في حياته؟ إن ذلك يسهّل عليها أن تكرهه.

- حضورك يدهشني.

رفع حاجباً فزاد ذلك في وسامته: «لماذا؟»

هزت كتفيها متظاهرة بعدم المبالاة: «إننا لم نفترق بوفاق أمس، ولهذا ظننت أنك لن ترغب في أن تظهر معي».

- هذا غير صحيح، في الواقع، كان هذا بعيداً عن الحقيقة.

واقترب منها خطوة فتسارعت خفقات قلبها. كل ما استطاعت عمله هو التحديق إليه وهو يتابع: «كنت بحاجة إلى أن أراك، لكي أصحح الأمور».

التوى قلبها ألماً. هذا هو السبب. إنه يريد أن يشكرها لأنها كانت صديقة جيدة، لأوقات جيدة أمضياها معاً، ثم بعد ذلك يبتعد عنها... وإذا كانت محظوظة ربما يعود فيعرض عليها المال مرة أخرى وهذا يضيف الملح إلى جرحها المفتوح.

- لم يبق هناك ما يقال، يا ماثيو، فدعنا نفعل هذا لأجل سالي. أليس كذلك؟

جاهدت ليبقى صوتها ثابتاً بينما كل ما كانت تريد أن تفعله هو أن تبكي، وهي تراه يلقي عليها تلك النظرة التي تعرفها جيداً. نظرة... مليئة بالحنان والشاعرية.

إنها لم تفقد شيئاً من قوتها وفعاليتها. فكرة أنهما لن يعودا معاً

مرة أخرى، جعلتها توشك على أن تصرخ.

- بل أظن هناك الكثير ليقال، لكنني أوافق على أن الآن ربما ليس بالوقت المناسب. ما رأيك في أن نخرج بعد الاحتفال، لنتمشى ثم تسمعين ما أريد أن أقوله؟

- ولماذا أخرج معك؟

بدت كطفلة نكدة. لم يحدث أن ضربت الأرض بقدمها غضباً قط، إنما الآن كان هذا بالضبط ما شعرت بالرغبة في القيام به.

وعلى كل حال، لم يكن الغضب هو الذي جعلها تبدو غير عقلانية فقد كان هناك الألم، كامناً تحت السطح ينتشل ذكريات أوقاتهما معاً.

رفع ذقنها ونظر في عينيها مباشرة، وكأنه يريد أن يرى الطريق إلى روحها: «لأننا مدينان بذلك لنفسينا».

ارتجفت متوقعة، متلهفة معرفة قصده من وراء هذا الغموض.

- ها أنتما الإثنين، هيا، لا وقت للتلكؤ. إنهم على وشك الحضور.

وبرزت سالي من مكان ما، واضعة ذراعاً حول كل منهما لتقودهما إلى الباب المفتوح.

همست كارا في أذنها: «أرجو أنك لا تخططين إلى أمر ما؟»

فنظرت سالي إليها بحزم متصنعة السذاجة: «ماذا؟ أنا؟ أبداً. أسرعا كيلا تفوتنا البداية».

كانت الساعتان التاليتان الأطول في حياة كارا. أشارت لهما سالي إلى مقعديهما، دافعة، تقريباً، كارا نحو ماثيو. وما كان هذا يبدو سيئاً لو كانت المقاعد متفرقة كما هو الحال في المسارح العادية، إنما، هنا فقد حشر منظمو المكان، نظراً لضيق القاعة، قدر

ما أمكنهم من الناس ما جعل أي مسافة بينهما تختفي.

في كل مرة انتقل فيها سنتمتراً واحداً، شعرت هي بذلك، فانتشرت مشاعر جارفة في كيانها. وكلما حاولت أن تتجاهل هذه المشاعر، كلما أصبحت هذه أسوأ، حتى كادت أن تقفز عن كرسيها بارتياح عندما انتهى الاحتفال. ولم تكد تستوعب كلمة سالي التي ألقتها عند تلقيها الجائزة، فقد كانت مشغولة البال بتجاوب مشاعرها غير المعقولة مع هذا الرجل الذي أقسمت أن تنساه.

- حان وقت التصوير.

وأمسك بمرفقيها وقادها إلى البهو حيث كان المصور ينتظر. أجابته بإيماءة غير واثقة من قدرتها على الكلام، وشاكرة ليده التي أسندتها. فقد كانت ساقاها ترتجفان ولم يكن لذلك علاقة بجلوسها مدة طويلة على كرسي واحد.

ابتسمت كارا وتظاهرت بسعادة زائفة... وكل هذا باسم مساعدة سالي في وضع اللمسات الأخيرة لاحتفالها بالجائزة وبالتالي إنقاذ «وسيط الزواج». وأخيراً، أنزل المصور الكاميرا وأصبحا حرين في الذهاب.

- شكراً يا عزيزيّ لإنقاذكما لي.

واحتضنتهما معاً.

خنقت كارا ضحكة. ما كان بإمكان سالي أن تقرّبهما إلى بعضهما البعض أكثر من ذلك لو حاولت.

- والآن، لماذا لا تنطلقان وتمرحان بعض الوقت؟

وقبل أن تجيب كارا، سارع ماثيو يقول: «فكرة عظيمة يا سالي، هل أنت واثقة من أنك لا تريدين أن تذهبي معنا؟»

اتسعت ابتسامة سالي: «لا أحلم بذلك. هيا اذهبا».

ودفعتهما نحو الباب، ثم التفتت لترحب ببعض المعارف.

مدّ ماثيو يده إلى كارا: «حسناً، أظن الوقت قد حان لذلك «المشوار».»

لقد عادت تلك الابتسامة الجذابة تفعل الأعاجيب في خفقات قلبها.

طوال حياتها، كانت كارا حذرة، ولكن لم ينفعها هذا بشيء، بالنسبة إلى قضايا الحب على الأقل. إنها تتوخى الحذر في عملها، في اختيار أصدقائها، في شراء سياراتها. لكنها الآن، ومع الرجل الذي تحبه والذي ربما يعرض عليها آخر ومضة من السعادة، قررت أن تلقي بالحذر من النافذة.

وضعت يدها بيده، مستمتعة ببهجة الشعور بأصابعها مشتبكة بأصابعه، وقالت: «أظن ذلك».

هبطا درجات دار الأوبرا بصمت، ثم توجها إلى ضفاف النهر. وتساءلت إن كان هواء الليل البارد أم دفء يده هو السبب في القشعريرة التي تملكتها. وكأنه قرأ أفكارها، فخلع سترته ولفها حول كتفيها ثم أدناها منه. وتشممت منتشية رائحة رجولته التي غزت حواسها. يا إلهي، ما أطيب رائحته!

- هل أنت واثق من أنك لن تبرد؟

اقترب منها بحذر: «أنا واثق. ثم إنني لم أعد أشعر بالبرد الآن».

خفق قلبها بسرعة عندما أحنى رأسه. وهمس لها تلك الكلمات لتتذكرها دوماً...

وعندما أدركت الوضع، عاد إليها تعقلها. ما هذا الذي تفعله في تعذيب نفسها بهذا الشكل؟ لقد انتهت اتفاقيتهما وكلما أسرعت في

إدراك ذلك كان هذا أفضل لها.

- كلا!

وتراجعت إلى الخلف متلهفة إلى الابتعاد عنه قدر الإمكان. لم تستطع أن تتذكر متى أصبح قريباً منها إلى هذا الحد. لقد استحال ذهنها إلى هلام وكذلك حواسها.

رفع ذقنها فاضطرت إلى النظر إليه: «ليس لديك فكرة عن نوع شعوري نحوك أليس كذلك؟»

نظرت إليه وقد أرهقتها دوامة المشاعر التي تكتنفها، راغبة في أن تنطلق إلى النتيجة في هذه اللحظة، فقالت له بنظرة ذات معنى: «آه، كوّنت فكرة لا بأس بها مؤخراً».

شتم بنعومة وابتعد عنها: «أنا لا أتحدث عن (تلك الأوقات)... ومع ذلك لا تظني أنني لا أريدك في هذه اللحظة. مشاعري نحوك لم تتوقف قط».

ازداد ارتجافها بابتعاده عنها، وللحظة قصيرة تمنت لو يعود فيمسك بها مرة أخرى، وشبكت ذراعيها تقول: «ما معنى كلامك؟»

- معناه أنني أتمنى لو أنني لم أدفعك عني قط طوال السنوات الماضية. معناه أنني أتمنى لو أنني لم أفكر في تلك الاتفاقية السخيفة. معناه أنني أتمنى لو أنك... .

وسكت... ومزق قلبها الغموض البادي في عينيه.

كانت تسمع كلامه لكنها لم تكن تصدقه تماماً، فقالت تستحثه: «تابع حديثك ... تتمنى لو أنني ماذا؟».

- أتمنى لو أنك تحبينني بقدر ما أحبك.

ها هو ذا يقولها. لم يظن ماثيو قط أنه سيقول هذه الكلمات. والآن، وقد أصبحت مشاعره مكشوفة، أخذ يرجو الله أن لا يكون

ذلك بعد فوات الأوان.

كان جوابها غريباً غير منتظر. وكان عليه أن يعلم ذلك، لأن لا شيء منتظراً وغير غريب في المرأة التي يحبها. لقد ألقت بنفسها عليه وهي تلكمه على صدره: «أنت... أنت...»

- هيه... اهدأي.

وأمسك بمعصميها، مسيطراً على الخوف الذي شعر به. إنها لم ترد عليه بأنها تحبه هي أيضاً، كما كان يتمنى. وبدلاً من ذلك أخذت تضربه ولم يكن لديه أقل فكرة عن كيف يرد عليها.

وهمست له وقد توقفت عن الضرب: «قل هذا مرة أخرى».

- أي جزء منه؟

لم يستطع أن يمنع نفسه من أن يغيظها. بدت حبيبة فائقة الجمال بثوبها الرائع هذا الذي كان الآن يتطاير مع النسمات، وتعلقت سترته على كتف واحدة وشعرها المكوّم على رأسها بزينة بديعة يهدد بالسقوط في أي لحظة. هذا عدا عن الصدمة البادية في عينيها المفتوحتين على اتساعهما: «أنت تعلم. الجزء المتعلق بمقدار حبك لي».

وانهمرت دمعة على خدها فتحطم شيء في داخله، من المؤكد أنه ليس قلبه لأن هذا قد تمزق منذ اللحظة التي ظن فيها أنه فقدها.

- أنا أحبك ودوماً كنت أحبك ودوماً سأحبك.

- وأنا أحبك أيضاً.

ومدّت يدها إليه بذعر تقريباً. وهمس في أذنها: «دون ارتباط ولا اتفاقيات»؟

- الاتفاقية الوحيدة التي سنقوم بها الآن هي في قاعة المحكمة ولا تنس ذلك!

١٤ ـ عرس الأحلام

دوماً كانت حفلات الزفاف تحمل كارا على البكاء، وهذا يشكّل، بالنسبة إلى امرأة عاملة، ضعفاً حقيقياً.

- أسرعي يا حبيبتي، ستأخر.

ودارت سالي حول كارا تضع اللمسات الأخيرة على الثوب المزين بالخرز: «هذا أفضل».

- إسترخي، فأنت توترين أعصابي.

هذا وكأن أعصابها هي غير متوترة بالقدر الذي يكفيهما معاً.

وقفت سالي بعيدة تقيّم مظهر كارا: «تبدين رائعة الجمال، سيكون أقاربك فخورين بك».

غالبت كارا دموعها وهي ترى كلام سالي صحيحاً: «شكراً، يا سالي. لأجل كل شيء».

مسحت سالي عينيها: «لا تشكريني. بل أشكري الكمبيوتر الذي كنت تريدين أن تنسفيه منذ وقت ليس طويلاً».

- لم أقل قط إنني أريد أن أنسفه. قلت إنه خرب.

- هه! كنت أعلم دوماً أنك، وماثيو، متلائمان تماماً.

وسكتت سالي وتقدمت إليها تقبل خدها: «أنا سعيدة جداً لأجلك».

- وأنا أيضاً. ولكن إذا لم تذهبي الآن سيظن العريس أننا أتعبناه بالوقوف.

كادت كارا تقرص نفسها. إنها لم تصدّق تماماً أنها قرنت كلمتي (عريس) و (ماثيو) معاً. إنها ما زالت خائفة، رغم أن اليوم هو يوم عرسها حيث تتزوج رجل أحلامها. لا يمكن أن تكون الحياة أفضل مما هي الآن.

اختارا أن يكون العرس، بسيطاً، مجرد حفل بسيط يضم الأصدقاء والأقارب وذلك على يخت ماثيو. وكان ذلك رائعاً، سارت رحلة الذهاب إلى المرفأ بشكل ضبابي حيث أن كارا كانت مركزة اهتمامها على التمسك بالهدوء.

- وصلنا تقريباً.

قال السائق هذا وهو يوقف السيارة الليموزين بجانب المرسى.

ومدت سالي يدها وشدت على يد كارا: «هل أنت جاهزة يا حبيبتي؟»

- جاهزة كأحسن ما يكون.

وحملت حقيبة يدها الصغيرة العاجية وسارت على رصيف المرفأ، غافلة عن الأعين التي تتابعها، مركزة نظراتها على ذلك الرجل الرائع في بذلته الرسمية الواقف عند مؤخرة يخته.

نزل ماثيو من الزورق ومد لها يده: «تبدين غاية في الجمال».

ابتلعت ريقها محاولة أن تتخلص من الغصة الملتصقة بحلقها: «شكراً، وكذلك أنت».

- أجمل تمنياتي لزوجة المستقبل، أحبك. وطبع على خدها قبلة طويلة.

- وأنا أحبك أيضاً، رغم أنه ما زال لدي هنا شيء علينا أن ننتهي منه.

- وما هو؟

فتحت راحتها فلمع مفتاح صغير في أشعة الشمس: «إنك لم تخبرني قط عن هذا المفتاح».

ابتسم، ولفّها بحنانه الدافئ: «ألم أفعل؟ لا بد أنني نسيت ذلك».

- أكانت تلك خدعة منك لكي تجعلني أقبل الذهاب معك إلى تلك العطلة الأسبوعية؟ إنك تعرف مقدار حبي للتحدي.

- وأنت تعرفينني جيداً جداً. اعتبريه المفتاح إلى قلبي.

www.elromancia.com
مرمورية